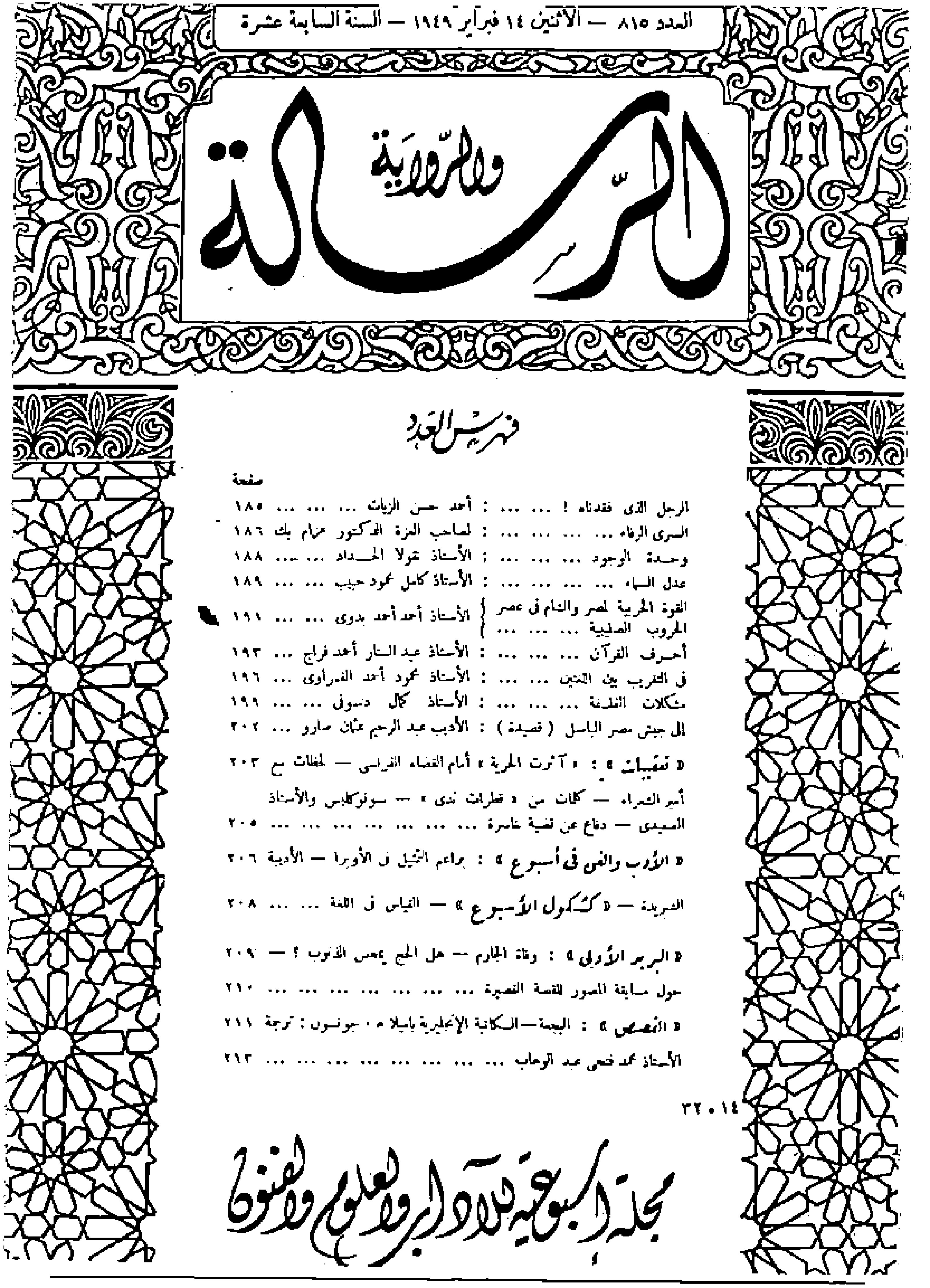


العدد ٨١٥ — الاثنين ١٤ فبراير ١٩٤٩ — السنة السابعة عشرة

الرسالة والرواية

فهرس العدد

٣٢٠١٤

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

17 ème Année No. 815

Lundi — 14 — 2 — 1949

بدل الاشتراك عن سنة

مصـ

١٠٠ فى مصر والسودان

١٥٠ فى سائر الممالك الأخرى

ثمن العدد ٢٠ مليما

الإعلانات

يتفق عليها مع الإدارة



مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Littéraire Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها

ورئيس تحريرها المسئول

احمد حسن الزيات

الإدارة

دار الرسالة بشارع السلطان حسين

رقم ٨١ — عابدين — القاهرة

تليفون رقم ٤٢٣٩٠

العـــــدد ٨١٥ « القاهرة فى يوم الاثنين ١٦ ربيع الآخر سنة ١٣٦٨ — ١٤ فبراير سنة ١٩٤٩ » السنة السابعة عشرة

الرجـــــل الذي فقدناه !

مضى على استشهاد المجاهد الخالد محمود فهمي النقراشي باشا سبعة وأربعون يوماً ولا يزال الأسى على مصرعه يلذع القلوب، والأسف على فقده يمض الأنفس! وعهدنا بالحزن على الزعماء العظماء أن يشتعل أوسع ما يكون الاشتعال، ويخبو أسرع ما يكون الخبو. ولم يمت زعيم عظيم إلا اختلفت الآراء في تبيين مكانته، وتفاوتت الموازين في تقدير كفايته. حتى أبو الأبطال سعد، لم تتفق على سياسته الكلمة، ولم تُجمع على عدالته الأمة، ولم يصلِّ على جنازته الملك. ولم يكن النقراشي الذي ظفر من الشعب والحكومة والعرش بذلك كله قد أوتي ما أوتي مصطفى كامل وسعد زغلول من ذكاء القلب في الخاصة، وبلاغة اللسان في العامة. ولم يكن الوعي القوي الذي قدّره هذا القدر، ووضعه هذا الوضع، وبكاه هذا البكاء، خامد الفطنة كليل البصيرة سلس القيادة، كذلك الوعي الذي افتتن بمصطفى واستقاد لسعد.

وعينا القوي اليوم غيره بالأمس. ولئن نضج في هذا العهد لقد تقلب على أطوار الطبيعة ككل كائن: كان غصناً خدّره برد الشتاء فنبهه أبو اليقظة مصطفى؛ ثم كان بُرعماً أخرجه دفء الربيع ففتّقه أبو الثورة سعد؛ ثم كان ثمرة سواها حر الصيف فقطفها أبو النهضة النقراشي. فالوعي المصري في هذا الطور يتأثر بالفعل لا بالقول، ويستجيب للعقل لا للهوى، ويعامل بالثقة لا بالعاطفة.

ومن هنا كان حزن الأمة العميق الشامل على النقراشي الذي كان يعمل ولا يتكلم، ويحارب ولا يخطب، ويصارح ولا يداهن، وينتصر ولا يباهي، وينتصف ولا يحابي، ويقدم ولا يتردد، ويهجم ولا يخاف؛ لأنه كان مقتضى الحال الأليمة التي كانت عليها مصر يوم تولى أمرها. والمصلحون كالأنبياء يبعثهم الله حين يستشري الفساد ويضطرب السبيل ويستبهم الطريق. كانت الحكومة مترددة تريد الحازم، والسياسة مستكينة تريد الأبي، والشهوة متوسلة تريد النزيه، والأمة متحيرة تريد الدليل. والنقراشي شهد الله كان أقدر على تصريف الأمر بعين لا تكسرها ريبة، ويد لا تقصّرها جناية.

كانت حياة النقراشي ملحمة، وكانت ميتته مأساة! وكما يكون بطل الملحمة عبقري الصفات في خيال الفنان، كان النقراشي عبقري الصفات في واقع الطبيعة. ولكن بطولته كانت نمطاً من بطولة الرسل: قوة في الروح تقهر النفس، وقوة في الخلق تقهر الغريزة. ومن لوازم القوة الروحية الصفاء والوفاء والعفة والكرامة؛ ومن لوازم القوة الخلقية العزم والحزم والنظام والصرامة. والصفات الأولى هي عناصر الشخصية الخاصة في النقراشي الصديق والزوج والوالد؛ والصفات الأخرى هي عناصر الشخصية العامة في النقراشي المعلم والسياسي والحاكم. ومن أجل ذلك كان النقراشي هو الشهيد الوحيد الذي ترثيه بلسان الشعر فتؤثر، وترثيه بلسان المنطق فتُقنع. كانت حياته العاملة في سبيل وطنه وأمته، وميتته الدامية في طفولة ابنه وابنته، إلياذة مجد ألّف ختامها القدر من أنات هاني وصفية، وكتبها بدمه، كما ألّف ختام الملحمة العلوية من صرخات علي وفاطمة، وكتبها بدم الحسين!

احمد حسن الزيات

السرى الرفاء

لصاحب العزة الدكتور عبد الوهاب عزام بك

السرى بن أحمد الكندى الموصلى المعروف بالرفاء من شعراء القرن الرابع الهجرى النابهين .

نشأ فى الموصل رفاء يرفو الثياب ، وقد ذكر هذا فى شعره إذ كتب إليه صديق يسأله عن حاله فأجاب بأبيات منها :

وكانت الإبرة فيما مضى   صائنة وجهى وأشعارى
فأصبح الرزق بها ضيقاً   كأنه من ثقبها جارى

يقول الثعالبى فى يتيمة الدهر :

(ولم يزل السرى فى ضنك من العيش إلى أن خرج إلى حلب واتصل بسيف الدولة واستكثر من المدح له فطلع سعده بعد الأفول ، وبعد صيته بعد الخمول وحسن موقع شعره عند الأمراء من بنى حمدان ورؤساء الشام والعراق . ولما توفى سيف الدولة ورد السرى بغداد ومدح المهلبى الوزير وغيره من الصدور فارتفق بهم وارتزق معهم وحسنت حاله ، وسار شعره فى الآفاق ، ونظم حاشيتى الشام والعراق ، وسافر كلامه إلى خراسان ، وسائر البلدان) .

فهذا شاعر عاش فى الشام والعراق فى القرن الرابع ، وشهد حلبة الأدب عند الأمير العربى الجواد الأديب سيف الدولة ، واتصل بالوزير الأديب المهلبى فى بغداد . فهو يمثل الشعر العربى فى عصر من أندر عصوره ، وفى أمجد أقطاره . ففى شعره مجال للأديب واسع ، وقد صرف القول فى فنون الشعر المعروفة فى عصره ، ونافس كثيراً من شعراء زمانه . ولا يتسع حديثنا القول فى تاريخ السرى الرفاء وشعره ، فأكتفى بموضوعين.

الأول عداؤه للأديبين الموصليين الأخوين محمد وعثمان المعروفين باسم الخالديين ، وهجاؤه إياهما بسرقة شعره وشعر غيره وتصريفه القول فى غارتهما على الشعر ، والولوع بذكر هذا فى قصائد مدحه وهجائه . وإن صح ما رواه الثعالبى عنه فقد حمله العداوة على ما لا يجمل بالأدباء . يقول الثعالبى :

(ونابذ الخالديين الموصليين وناصبهما العداوة ، وادعى عليهما سرقة شعره وشعر غيره وجعل يورق وينسخ ديوان شعر أبى الفتح كشاجم — وهو إذ ذاك ريحان أهل الأدب بتلك البلاد ، والسرى فى طريقه يذهب ، وعلى قالبه يضرب — وكان يدس فيما يكتبه من شعره أحسن شعر الخالديين ليزيد فى حجم ما ينسخه ، وينفق سوقه ويغلى سعره ، ويشنع بذلك على الخالديين ويغض منهما ، ويظهر مصداق قوله فى سرقتهما ، فمن هذه الجهة وقعت فى بعض النسخ من ديوان كشاجم زيادات ليست فى الأصول المشهورة منها وقد وجدتها كلها للخالديين بخط أحدهما) .

فهذا مثل من ادعاء السرى على هذين الشاعرين سرقة الشعر . وأما هجاؤه إياهما بسرقة من أشعاره خاصة فقد افتن فيه افتنانا . ورَدده فى كثير من شعره وقد سلط الله عليه الثعالبى جزاء وفاقا فعقد هذا المؤلف الكبير فصلا فى اليتيمة لسرقات السرى من الشعراء وأفاض القول فيها . وأكتفى هنا بمثالين من شعره فى هذا الموضوع :

كتب الخالديان إلى أبى إسحاق الصابى الكاتب المعروف أنهما قادمان إلى بغداد فأنشأ السرى للصابى قصيدة أولها :

قد أظلتك يا أبا إسحق   غارة اللفظ والمعانى الدقاق
فاتخذ معقلا لشعرك تحميه   مروق الخوارج المراق
كان شن الغارات فى البلد القفـ   ـر فأضحى على سرير العراق
غارة لم تكن لسمر العوالى   حين شنت ولا السيوف الرقاق
جال فرسانها على جلوسا   لا أظلتهم سيوف العتاق

إلى أن يقول :

يا لها غارة تفرق فى الحو   مة بين الحمام والأطواق
تدع الفارس المشيع بالها   روبعض الأقوام عار باق
لو رأيت القريض يرعد منها   بين ذاك الإرعاد والإبراق
وقلوب الكلام تخفق رعبا   تحت ثنى لوائها الخفاق
وسيوف الظلام تفتك فيها   بمذارى الطروس والأوراق
والوجوه الرقاق دامية الأبشار   فى معرك الوجوه الصفاق
لتنفست رحمة للخدود السـمر   منهن والقدود الرشاق الخ

وله قصيدة أخرى فيها يخاطب أبا الخطاب والمفضل بن ثابت

الضبي وقد سمع أن الخالديين يريدان الرجوع إلى بغداد ، في عهد الوزير المهلبي يقول في مطلعها :

بكرت عليك مغيرة الأعراب ... فاحفظ ثيابك يا أبا الخطاب
ورد العراق ربيعة بن مكدم ... وعتيبة بن الحارث بن شهاب
أفسدنا شك بأنهما هما ... في الفتك لا في صحة الأنساب
جلبا إليك الشعر من أوطانه ... جلب التجار طرائف الاجلاب
فبدائع الشعراء فيما جهزا ... مقرونة بغرائب الكتاب
شنا على الآداب أقبح غارة ... جرحت قلوب محاسن الآداب
لا يسلبان أخا الثراء وإنما ... يتناهبان نتائج الألباب

إلى أن يقول :

نظرا إلى شعر يروق فقربا ... منه خدود كواعب أتراب
في غارة لم تنتظم فيها الظبا ... ضربا ولم تند القنا بخضاب
تركا غرائب منطقي في غربة ... مسبية لا تهتدي لإياب
جرحى وما ضربت بحد مهند ... أسرى وما حملت على الأقتاب

ويصف شعره بهذه الأبيات وهو كثير الإعجاب بشعره ، مولع بالحديث عنه .

لفظ صقلت متونه فكأنه ... في مشرقات النظم در سحاب
وكأنما أجريت في صفحاته ... حر اللجين وخالص الزرياب
أغربت في تحبيره فرواته ... في نزهة منه وفي استغراب
وتطرت فيه شبيبة لم تشتغل ... عن حسنه بصبا ولا بتصابي
وإذا ترقرق في الصحيفة ماؤه ... عبق النسيم فذاك ماء شبابي
يصغي اللبيب له فيقسم لبه ... بين التعجب منه والإعجاب
جد يطير شراره وفكاهة ... تستعطف الأحباب للأحباب

ثم يعود فيرثي لهذا الشعر الجميل الذي كتبه بماء شبيبته من غارة الخالديين فيقول :

أعزز علي بأن أرى أشلاءه ... تدمى بظفر للعدو وناب
أبني رماه بشارة مأفونة ... باعت ظباء الروم في الأعراب
إني أحذر من يقول قصيدة ... غراء تجذبني غارة ونهاب

هذا موضوع فكه طريف يستطيع الأديب أن يتناوله بالبسط والشرح ليبين عما بين السري والخالديين من عداء ويتعرف أسبابه ، ويقضي فيما يدعيه السري عليهما من سرقة ، وفيما اتهم الثعالبي به السري من دس لشعرهما في ديوان كشاجم ، وعن الصلة بين أشعار هؤلاء الأربعة من شعراء القرن الرابع وما يتصل بهذا من قضايا أدبية خطيرة في ذلك العصر المزدهر .

ولم يقتصر اعتداد السري بشعره واتهام الناس بسرقته على على ما بينه وبين الخالديين ، بل تناول غيرهما من الشعراء بهذه التهمة . ومن هؤلاء أبو العباس النامي الشاعر المعروف . قال السري عن النامي وادعى أنه كان جزارا :

أرى الجزار هيجني وولى ... فكاشفني وأسرع في انكشاف
ورقع شعره بعيون شعري ... فشاب الشهد بالسم الزعاف
لقد شقيت بمديتك الأضاحي ... كما شقيت بشارتك القوافي
توعر نهجها بك وهو سهل ... وكدر وردها بك وهو صافي

ويصف قصائده بأبيات يقول فيها :

جمعنا الحسنيين فمن رياح ... معطرة وأرواح خفاف

ثم يرجع إلى ذكر إغارة النامي على الشعر فيقول :

وما عدمت مغيراً منك يرمي ... رقيق طباعها بطباع جافي
معان تستعار من الليالي ... وألفاظ تقد من الأثافي
وشر الشعر ما أداه فكر ... تعثر بين كد واعتساف . الخ

وأما الموضوع الثاني من الكلام من السري الرفاء فموعده المقال الآتي إن شاء الله .

عبد الوهاب عزام

وحــــدة الوجود

للأستـــاذ نقولا الحداد

هذا الموضوع مطروح على بساط البحث في هــذه المجلة منذ أكثر من سنة ، وتناقش فيه بعض الكتاب وتشعبت آراؤهم فيه في نواح مختلفة ، وما استقرت على نظرية واحدة . واليوم عاد الأستاذ عبد العزيز محمد الزكي يبسطه ثانية عارضاً فيه نظرية طاغور الهندوكي . وهي على حد قوله حجر الزاوية في الديانة الهندوكية كالتوحيد في الإسلام (والنصرانية أيضاً) .

وقد أفاض الأستاذ عبد العزيز في الموضوع في ستة أعمدة من المجلة ، ولكنه بكل أسف لم يعرفنا المقصود من « وحدة الوجود » . ومعظم ما ورد في مقاله مبهم قلما يستقر الذهن فيه على معنى .

والذي فهمناه من الوجود أن للفلاسفة فيه قولين : وحدانية الوجود Unism وثنائية الوجود Duabism . أما وحدانية الوجود فقد وضحت في فلسفة سبينوزا وخواها أن الكون كلٌّ واحدٌ ، وإن كان مكوناً من أجزاء ، وأنه يشمل الله ، أو بالأحرى إن الله يشمله . وبحسب هذه الفلسفة يكون الله موجوداً في كل جزء من الكون ، أو أن كل جزء من الكون يعبر عن الله . وبهذا الاعتبار فالله موجود في كل مكان .

وكذلك العقل الذي يدرك الكون (عقل الله مثلاً وعقل الإنسان المنبثق من عقل الله بحسب فلسفة المطران بركلي) هو جزء من الكون لا ينفصل عنه والكون لا يوجد بدونه ، فإذا لم يكن العقل موجوداً فالكون لا وجود له ، وإن زعمنا أن الكون موجود على كل حال ، فبأي عقل يوجد ؟ وأي عقل يدركه ؟ ما لا يوجد في الإدراك ، أو في عقل مدرك ، فلا وجود له

أما ثنائية الوجود ، فقد وضحت في معظم فلسفة الفلاسفة ، وهي أن الكون موجود منفصلا عن الله وعن العقل الذي يدركه ؛ يعني أن الكون مرتبتان أي Two Catigorys : الكون المادي والكون العقلي ، والمقصود بالكون العقلي الله وما انبثق منه من العقول . وبهذا المعنى يكون الله ذاتية Entits قائمة بذاتها مستقلةً عن الكون المادي ، وإنما هو بحسب رأي اللاهوتيين حالٌّ في كل ذرة من مواد الكون المادي ، ولكنه ليس منه البتة

فإذاً للوجود كونان : كون مادي وكون عقلي أو روحي ، وهذا ليس من ذاك بل هو يدركه . ومعظم الفلاسفة ثنائيون يعتقدون بثنائية الوجود . ولا أدري أي النظريتين تتفق مع طاغور والديانة الهندوكية ، وكذلك لا أرى أي النظريتين توافق النصرانية والإسلام . إن هذا يتوقف على ماهية الله . والله في اللاهوت المسيحي « روح (لا مادة) أزلي (وأبدي سرمدي) خالق كل شيء (من العدم) وقادر على كل شيء ، وموجود في كل مكان وكل زمان ، وعالم بكل شيء » . وأظن هذا التعريف مقبول في الإسلام . وبحسب هذا التعريف يوافق الرأي الثنائي الإسلام والنصرانية ، لأن الوحدانية تستلزم أن يكون الله خاضعاً للإدراك البشري . أعني يستطيع العقل الإنساني أن يبحث فيه ويحلله ، كما يبحث في الذرة ويحللها ، ويفهم مقاصده من غير وحي وإلهام . وهذا لا يوافق الإسلام ولا النصرانية .

وأما كيفية مطابقة « الوحدة » للعقيدة الهندوكية فلم نفهمها جيداً من بحث الأستاذ الزكي واقتباسه نظريات طاغور . فمثلا لا نفهم قوله : « إن الله حينما امتلأ بالسرور فاضت منه الخليقة ، فالكون عند طاغور هي الصورة التي يتجلى فيها سرور الله ، الخ »

هذا كلام يحتاج إلى تفسير مستفيض إن كان تفسيره ممكناً . ثم قوله : « إن الإنسان لن يحصل على كماله الروحي إلا عندما يتلاشى شعوره بذاتيته ويدمجه في كل ما حوله من كائنات . وبغير ذلك لن يدرك أحد حقيقة وحدة الوجود » . كيف ذلك ؟

وهناك فقرات كثيرة من هذا الطراز لا نفهمها . عذراً يا أستاذ !

وقد اتفق بطاركة الفلسفة الأولون — سقراط وأفلاطون وأرسطو — على أن الله موجود مع الكون السرمدي منذ وجد هذا الكون (إن كان لوجوده بداية) ، ولكنه لم يخلقه وإنما هو يديره .

هذه العقيدة أقرب إلى المعقول من غيرها ، وتطابق نظرية ثنائية الوجود إذا اعتبرنا الله مجموعة النواميس الطبيعية وعلى رأسها ناموس الجاذبية ، فإما أن تكون الجاذبية هي الله نفسه ، أو أن الله وراءها ممسكها بيده ويدير بها عوالم الكون ، لأنه

بحسب العلم الطبيعي نرى الجاذبية موجودة مع الأكوان منذ الأزل ومنبثة في كل ذرة من ذرات العوالم المادية وجميع حركات الذرات والأقمار والسيارات والشموس والسدم — كل هذه تتحرك في « الزمكان » (زمان مكان) بقوة الجاذبية تتحرك كيماوياً وحيوياً وميكانيكياً ، هي قوة قصوى موجودة في كل مكان وزمان ، ولكنها لم تخلق العوالم من العدم .

هذه النظرية يمكن أن تتفق مع وحدة الوجود ومع ثنائيته أيضاً — وما أوتيتم من العلم إلا قليلا .

نقولا الحداد

٢ شارع البورصة الجديدة — القاهرة

عـــدل السماء

للأستاذ كامل محمود حبيب

أتذكر — يا رفيق — يوم أن تخرجت في الجامعة ، يوم كنت تدلُّ بقسامة الوجه ونضارة الصفحة ، وتختال بصلابة العود وانفتال العضل ، وتفخر بقوة الشباب ونشاط الحياة ، وتمتز بالسعة في الرزق والإشراق في المستقبل ، وتتيه بوظيفتك الحكومية على صحابك وذوي قراباتك ، وتزهى بميراثك من أمك وقد اغتصبته من أبيك منذ أن تخرجت في الجامعة ضناً به عليه وعلى اخوتك من أبيك ؟

وركبك الغرور والشيطان ، فأنت في سعة من المال والعلم ، وأنت في وظيفة تدر عليك ما يفيض عن حاجاتك ، وأنت عزبٌ تعيش في نوازع نفسك ورغبات قلبك ، هي لا تكلفك كثيراً ، فما تنزع بك إلى فاحشة ، ولا تندفع بك إلى فجور . فقضيت سنوات منطوياً على نفسك ، تبيت تحصي ما ادخرت ، ثم تودعه درج مكتبك ، أو مكتب البريد ، فادخرت مالاً .

وجاءك أبوك — ذات مساء — يستعينك على أمره ، وقد عصرته الحاجة ، وجلس إليك في خلوة يحدثك بذات نفسه يقول : « ... وأنت تعلم — يا بني — أنني قد ضُربتُ بداء أعضل على الأطباء شفاؤه ، وأنا بين الأطباء كالشاة يتجاذبها الذئاب ثم لا يلفظونها إلا رمة . وللطبيب أفانين طبية تبتز مال الفقير ، وتستلب ثراء الغني ، ومن ورائه القانون يشد عضده حين يمسك بالمشرط ، وحين يمسك بالقلم ؛ فابتلع الطبيب والمرض في أشهر ما ادخرتُ في سنوات ، وأولادي كثير بينهم الشاب والصبي والرضيع ، وأخشى أن تكشفني الكواشف وأنا في قرية شيدت على البغضاء والشحناء ، وبين أهل انطبعوا على الحقد والضغينة والذل ، يخفونها وراء ستار صفيق من الحب والمودة والإخاء ، وهم بين صغير يتربص بالكبير أن ينحدر إلى الهاوية ، وفقير يتمنى للغني أن ينهار إلى الحضيض ؛ وإذا نزلت بواحد نازلة ابتسم الجميع في غل وشماتة ، وتندَّروا به في سخرية وتشفٍّ ، ثم قال قائلهم — وهو في يسر وغنى — : « آه ، لو أستطيع أن أعينه على بلواه ! » ثم يتوارى خيفة أن يعين قريبه بفضلة من مال ... وأنت ، يا بني ، رجل ذو مال ، ولقد جئتك لتقرضني بعض مالي أستر به ضيقي وحاجتي . وهذه « كمبيالة » بالمبلغ الذي أريده » .

وكانت كلمات أبيك تتدفق أسى وحزناً ، ونفسه تتقطر ذلة وانكساراً ، وأحس وهو إلى جانبك يحدثك حديث حاجته أنه ينحط بكرامته وينزل من كبريائه ، وكانت سلوته أنك أنت ابنه وله عليك حق . ولما أتم حديثه نظرت إليه في ترفع وصلف ثم قلت : « يا أبي ، إن حاجات المدينة لم تدع لي وفراً من المال ، وأنا لا أعرف مَن أستقرضه لأدفع لك ما تريد » !

آه ، يا قلبي ! لقد أحس أبوك بالضعة حين رآك تستعلي عليه ، وشعر بأن كلماتك الجاسية تصفعه صفعات قاسية متتالية ، وأراد قلبه أن يبكي حسرة وكمداً ، ولكن الدوار كان قد غلبه ، فترنح حيناً ثم سقط بين يديك ... سقط فما رق قلبك ، ولا اضطربت نفسك !

وخرج أبوك من لدنك وهو يتمتم بكلمات لم تسمعها أذن ... ماذا قال ؟ ليت شعري ! هل كان يستنزل سخط السماء على ابنه العاق ؟ !

وعاوده المرض يعركه عركاً شديداً من أثر فظاظتك وخشونتك ، وألح عليه السقام فما تركه حتى مات ... مات أبوك لأنك أنت فقدت إنسانيتك ورجولتك ، ولأنك نسيت أنك ابن أبيك !

وظن اخوتك الصغار أنك الأخ الأكبر ، وأنك أنت الأب بعد أبيهم ، ولكنك كنت وجدت في قلبك حلاوة المال ولذة المدينة ، فانطويت من القرية ، وابتعدت عن أهلك وأقاربك ، ثم انطلقت تنعم بالحياة ، وتتلذذ بارخاء ، وترتاح إلى الوفر ، واخوتك

في القرية ينازعهم شظف العيش ، وجفوة الحياة ، وغلظة الأهل ، وقسوة الأقارب ، فمشت أنت وعاشوا . . . وما تبض كفك بدرهم ، وما ينبض قلبك بعاطفة !

وتماديت في قسوتك ، فرحت تنزع الطير الآمن من عشه : هذه دارك ودار أبيك ، تقاسمتها على سواء ، لأنها ميراثكما من أمك ، وهي عش إخوتك الوحيد منذ أن ولد كبيرهم . وها أنت تصر عليهم أن يدفعوا لك أجر نصيبك من الدار التي يسكنون . وأصررت وأصرت المحكمة الحسبية . ثم وافقت المحكمة الحسبية — بعد لأي — أن تباع الدار في مزاد علني ، فاشتريتها أنت ، اشتريت نصيب أبيك (المرحوم) لأنك تجد المال ، ثم قذفت بإخوتك خارج الدار ، لأنك لا تجد الإنسانية ، وأزعجت الطير الآمن عن عشه ، وهو قد اطمأن إليه منذ سنوات وسنوات .

وجاءت زوجة أبيك وابنها الأكبر — أخوك — يسألانك المهلة والرفق ، فما أعرتهم أذناً صاغية !

ونسيت أن زوجة أبيك قد كفلتك طفلاً ، وأنها كانت أحنى الناس ضلوعاً عليك يوم أن اصطلحت عليك العلل وأنت صبي ، وحين قرر الطبيب أن المرض معد تحاماك كل أقاربك ، حتى عمتك رفضت أن تدخل الحجرة التي عُزلتَ فيها خشية أن يصيبها ما أصابك ! أما زوجة أبيك فقد قضت أربعين يوماً تقدم لك الطعام وتؤاكلك وتجلس معك وتداعبك وتخفف عنك وعكة المرض وقسوة الوحدة ، وأبوك ينظر ويبسم لما يرى من عطفها عليك ، وهو يشعر براحة القلب وهدوء البال من أثر ما تفعل . ستقول إنها فعلت لتكسب رضاء أبي وحبه ، ولكنها تحملت — يا رفيق — في سبيلك ما ضنّ به أقرباؤك عليك !

ونسيت أن من بين إخوتك من كان يحمل إليك الزاد من القرية لا تزعجه وعثاء الطريق ولا يصرفه عناء السفر ، ومن كان يفرج أزمتك وأزمات الطالب لا تنتهي ، ومن كان يخفف عنك متاعب الحياة ومصاعب الدرس ؟ ! .

نسيت كل ما كان وأصررت على أن تنزع الطير الآمن من عشه !

لقد ركبك الغرور والشيطان ، فتماديت وتماديت ، لا ترتدع من دين ، ولا تنزع إلى خلق ، ولا تسمو إلى إنسانية ، ولا تترفع عن مادية . وتعلقت السماء من وحشيتك فأرادت أن تنتقم من أرضيتك !

يا لله ، لقد ضل هذا الفتى حين ركبه الغرور والشيطان فغشى بصره ، وشغل عن سواء السبيل ، وغفل عن أن في السماء عقاباً لا يمهل ... في ذا كان ؟

آه — يا رفيق — لقد بدأت الروحانية تنتقم منك — أول ما بدأت — في أسلوب حلو جميل ، تتضوع منه ريح العطر واللذة والسعادة والمال . كان ذلك حين طرقت باب « فلان بك » تخطب إليه ابنته ، فما تمهل ولا تروى ، وحين زفت هي إليك في ثوبها الأبيض الناصع الجميل ، تتألق في ثلاثة منابع من النور : نور وجهها المشرق الجذاب ، ونور جواهرها الوضاءة المتلألئة ، ونور الكهرباء المتناثرة في المكان ؛ وحين جلستْ إلى جانبك على عرش الورد ، والموسيقى ترسل أنغامها الشجية الأخاذة ، تملأ المكان نشوة وطرباً ... حين ذاك نسيت أنك أنت !

ثم مات (سعادة البك) فطرت أنت فرحاً ، وقضى الناس ليلهم في حزن ونواح ، أما أنت فانزويت في ناحية تحدث نفسك حديث الثراء الذي ورثته زوجك من أبيها ليكون ملكاً لك ، وسيطرت عليك النشوة فسلبتك وقارك ، فرحت تنشر ذات نفسك على رفاق من رفاقك !

وما هي إلا عشية أو ضحاها حتى جاء الدائن يجر الدائن ... يستوفون ديونهم من ميراث (سعادة البك) ، وجلس الكاتب يكتب والحاسب يحسب ، فإذا سعادة البك لا يملك ما يسد به دينه ، وإذا أنت صفر اليدين . ولكن ابنة (البك) ما تزال هي !

ومرت الأيام ، وابنة (البك) لا تستطيع أن تكون زوجاً لك ، فهي في أبهتها وكبريائها لا تنزل عن حاجة من حاجاتها ، وترفعت — بادئ ذي بدء — عن أن يبدو عجزك أمامها ، فهل استطعت أن تشبع رغباتها وهي تنطلق كل ليلة إلى ضجة الحياة الليلية : تهفو إلى السينما ، وتسعى إلى المسرح ، تصبو إلى الخمر ، وتحن إلى القمار ، ثم هي لا تصبر على الدار ، لأنها تحب الشارع ، وفي الشارع أساليب من الحياة تنزع عنها الملل والضيق ؟ هذا المال الذي ضننت به على نفسك وعلى أبيك ، وبخلت به على إخوتك وأهلك ، ينسرب اليوم من بين يديك في غير مهل ولا روية ؛ فأنفقت في يوم غلة شهر ، وأنفقت في شهر غلة سنة ، وأنفقت في سنة ما ادخرت منذ تخرجت في الجامعة ! ثم امتدت يدك إلى ميراثك تبعثره ، وما هو بكثير !

ثم أسقمك السهر وأضناك التعب وعلقت بك الخمر وشففت

القوة الحربية لمصر والشام
فى عصر الحروب الصليبية
للأستاذ أحمـــد أحمد بدوى

— ٢ —

كان عدد الجيش المصرى فى ذلك العهد عظيماً ضخماً ؛ ففى أيام الفائز الفاطمى استعرضت عساكر القاهرة ، فكانت نحو خمسين ألف مقاتل ، وكان بمراكبه عشر مراكب مشحونة بالرجال والسلاح ، وهذا مع تلاشى أمر الخلفاء الفاطميين ، وضعف شوكتهم [١] . قال المقريزى فى الخطط (جـ ١ ص ١٣٨) ورأيت بخط الأسعد بن مهذب بن زكريا بن مماتى الكاتب المصرى : سألت القاضى الفاضل عبد الرحيم : كم كانت عدة العساكر فى عرض ديوان الجيش لما كان سيدنا يتولى ذلك فى أيام رزيك بن الصالح ؟ فقال أربعين ألف فارس ونيفاً وثلاثين ألف راجل من السودان ، مما يدل على أن مصر كان فى استطاعتها رد الصليبيين بجيوشها ، لولا ظروف أخرى عرضناها فيما مضى .

فلما انقضت الدولة الفاطمية واستولى على الأمر صلاح الدين عنى بأمر الجيش عناية كبرى ليحقق أهدافه ومشروعاته . قال القاضى [١] الفاضل فى متجددات سنة سبع وستين وخمسمائة فى ثامن المحرم (أى قبل القضاء على الخلافة الفاطمية بيوم واحد ، ولعل لهذا العرض مغزى سياسياً آخر يرمى إليه صلاح الدين) خرجت الأوامر الصلاحية بركوب العساكر قديمها وجديدها ، بعد أن أخذ حاضرها وغائبها وتوافى وصولها ، وتكامل سلاحها وخيولها ، فحضر فى هذا اليوم جموع شهد كل من علا سنه أن ملكاً من ملوك الإسلام لم يحز مثلها ؛ ولم يتكامل اجتياز العساكر موكباً بعد موكب ، وطلباً بعد طلب (والطلب بلغة الغز هو الأمير المقدم الذى له علم معقود وبرق مضروب وعدة من مائتى فارس إلى مائة فارس إلى سبعين فارساً) إلى أن انقضى النهار ، ودخل الليل ، وعاد ولم يكمل عرضهم وبلغت عدة عساكره بمصر اثنى عشر ألف فارس ، فلما مات افترقت من بعده ، ولم يبق بمصر مع ابنه الملك العزيز عثمان سوى ثمانية آلاف فارس وخمسمائة ، إلا أن فيهم من له عشرة أتباع ومنهم من له عشرون وفيهم من له أكثر من ذلك إلى مائة تبع لرجل واحد من الجند ؛ فكانوا إذا ركبوا بظاهر القاهرة يزيدون على مائتى ألف [٢] .

(١) ابن إياس جـ ١ ص ٦٧

(١) المرجع السابق ص ١٥٢

(٢) خطط المقريزى جـ ١ ص ١٣٩

باليسر ... ومرت سنة أخرى ، فإذا ميراثك كله — وهو عشر فدادين فحسب — قد تبدد وتناثر !

وهكذا — يا رفيق — لم يبق لك سوى راتبك الحكومى ، وأنت بين أدواء ثلاثة : الخمر والميسر والزوجة ... وسوّل لك الشيطان — مرة أخرى — فركبك الدين والهاثم معاً !

وقضت صحتك ومالك ، فتراءيت فى نظر زوجك شبحاً لا تستطيع أن تكون رجلا ، فأخذت تنظر إليك شزراً وتحدثك فى احتقار ، تهين قولك ، وتزدرى رأيك ، وتسخر من جهلك ، وتطاول عليك تنبلك وتلب أهلك ... ثم ... ثم طارت عنك مع واحد من ذوى الثراء ، لتتركك على فراش المرض وحيداً ، تلتهمك هموم المرض والدين !

والآن ... هل تذكر تاريخك ؟ لقد عجمتك الخطوب ، وراشك الزمن ، ولكن بعد أن توزعتك الأحداث ، وعصفت بك الأحزان ، ولزمك المرض والفقر ؛ فأنت هيكل يتهادى فى مزق بالية ، تقتحمك الأعين ، وتعافك الأبصار !

يا عجباً ، لقد كنت منذ سنوات تدل بمالك وصحتك وعقلك ، فتعاليت على أهلك وأقاربك . والآن بعين ضربك الفقر والمرض والذهول ، ذهبت تستجدى عطفهم ولكن ...

ونظرت الأعين فى عجب ، وابتسمت الشفاه فى سخرية ، ونشنشت القلوب فى صمت ، وقال قائلهم : « ليت كل ذى عقل يؤمن بأن فى السماء عدلا يهبط إلى الأرض فى غير انقطاع ! فما أشد حمقك وغباوتك يا من تناسى عدل السماء ! »

ليت شعرى هل كان أبوك يستنزل سخط السماء على ابنه العاق حين كان يتمتم بكلمات لم تسمعها أذن ؟!

كامل محمود حبيب

واستكثر الصالح أيوب من شراء المماليك حتى كان عددهم في معركة المنصورة عشرة آلاف [1]. ولما قامت دولة المماليك الأتراك حذوا حذو مواليهم بني أيوب ، وبلغت عدة جند بيبرس اثني عشر ألفاً ، ثلثها بمصر ، وثلثها بدمشق ، وثلثها بحلب ، فإذا غزا خرج معه أربعة آلاف يقال لهم جيش الزحف ، فإن احتاج استدعى أربعة أخرى ، فإن اشتد به الأمر استدعى الثالثة [2] . وكان في خدمة قلاوون من المماليك اثنا عشر ألفاً كذلك [3] ، وكذلك كانت عدة مماليك ولده الأشرف خليل بن قلاوون[4].

والظاهر أن ذلك كان عدة الجيش النظامي ، وفي غير وقت النفير العام . أما الجيش في الحملات الحربية ، وعند النفير العام ، فإن عدده ما كان يقف عند هذا الحد ، فكان جيش قلاوون في معركة حمص التي هزم فيها المغول يبلغ خمسين ألف مقاتل [5] ؛ وكان في الحملة التي بعث بها قلاوون إلى بلاد النوبة سنة ٦٨٨ أربعين ألف راجل . قال لين بول [6] : احتفظ بيبرس باثني عشر ألف جندي نظامي دائم ، وهذا بخلاف الاحتياطي من العرب والمصريين ، وما تقضي به الظروف من تجنيد طبقات من المجندين. وفي المعارك الكبرى كان المتطوعون يقدمون من كل فج حتى لتزيد عددهم على الجند النظاميين . قال صاحب النجوم الزاهرة (ج ٨ ص ٥) : اجتمع مع الأشرف خليل على عكا من الأمم ما لا يحصى كثرة ، وكان المطوعة أكثر من الجند ومن في الخدمة .

وهذا الجيش الضخم هو الذي استطاع بمثابرته أن يرد جحافل التتار ، وأن يطرد الفرنج من الديار .

ولا غرابة أن تبلغ العناية بأمر الجيش ذروتها في ذلك العهد الذي هاجم الغرب فيه الشرق ، ووقفت فيه مصر والشام تدفعان عن كيانهما الصليبيين والتتار . وإذا كانت العناية بأمر الجيش في آخر عهد الفاطميين قد وجهها الوزراء إلى ناحية الاحتفاظ بمراكزهم ، فإن نور الدين محمود بن زنكي ، وأمراء القاطعات السورية في عهده قد عنوا بجيوشهم وأبلوا البلاء الحسن في حرب الصليبيين . ولو أن مصر والشام كانتا متحدتين في يد قوية ، ما استطاع الصليبيون تثبيت أقدامهم في الشام . وفي عهد صلاح الدين عني به عناية فائقة وارتقى فن الحرب في عهده وعهد نور الدين من قبله ، وما كانا يغفلان يوماً من تقوية جسمهما بالرياضة البدنية . وفي عهد الصالح أيوب بني المماليك بجزيرة الروضة قلعة جهزها بكثير من الأسلحة والآلات الحربية والأقوات ، وأسكنهم فيها ، وجعل حول تلك القلعة شواني حربية مشحونة بالسلاح معدة لقتال الفرنج إذا طرقوا البلاد[1] . وعني الظاهر بيبرس بالجيش وإعداده وتمرينه على الأعمال الحربية ، وكان ذلك من أهم ما شغله طوال أيام حكمه ، حتى اتسم عصره بسمة الجد وشاعت فيه روح الجندية ، فكان عندما يئوب من الحرب لا يدع جيشه للراحة والسأم بل يدربه على أعمال الحرب ، ويستعرضه في الحين بعد الحين ليرى أينقصه شيء ؟ وكثيراً ما اشترك هو وابنه الملك السعيد في مناورات الجيش وكان موضع الإعجاب والتقدير ، وعني بيبرس بالحياة الخلقية لجنده فحرم عليهم الفسق وشرب الخمر . ونودي يوم عيد الفطر وبيبرس والجند على باب صفد : من شرب خمراً أو جلبها شنق[2] ولم تقل العناية بالجيش في عهد قلاوون الذي كان يخرج غالب أوقاته في مواعيد الطعام للمماليك ويأمر بعرضه عليهم ، ويتفقد لحمهم ، ويختبر طعامهم في جودته ورداءته فإن رأى فيه عيباً اشتد على المشرف والاستادار ونهرهما ، وحل بهما منه ما يكرهان . وألزم المماليك الإقامة بقلعة الجبل لا يبرحونها [3] ، ولكن يظهر أنه لم يكن كبيبرس في شدة تزمته ، بل أباح لجنده اللهو البريء ، فبينا كان الغناء كالمحرم في عهد بيبرس إذا بنا نرى طائفة من الجند قادمة للقتال على رءوسهم البيض مقلدين سيوفهم، وبأيديهم الرماح وأمامهم العبيد تميل على الركائب وترقص برقص المهاري ، وبأيديهم الجنائب ووراءهم الغلمان والخول ، ومعهم مغنية تعرف بالحضرمية سائرة في الهودج وهي تغني :

وكنا حسبنا كل بيضاء شحمة ليالي لا قينا جذام وحميرا
ولما لقينا عصبة تغلبية يقودون جرداً للمنية ضمرا
فلما قرعنا النبع بالنبع بعضه ببعض أبت عيدانه أن تكسرا
سقيناهم كأساً سقونا بمثلها ولكنهم كانوا على الموت أصبرا

وفي عهد ابنه الأشرف عني بالجيش ، ليضرب الفرنج الضربة القاضية ، وجمع المماليك بمبارحة القلعة نهاراً على ألا يبيتوا في غيرها

(يتبع) أحمد أحمد بدوي

مدرس بكلية دار العلوم بجامعة فؤاد الأول

(١) السلوك ج ١ ص ٦٣٨
(٢) لين بول ص ٢٣٠
(٣) خطط المقريزي ج ١ ص ١٠٣
(٤) موير ص ٦
(٥) موير ص ٥٢
(٦) ص ٢٧٣

(١) ابن إياس ج ١ ص ٨٣
(٢) السلوك ج ١ ص ٥٤٦ .
(٣) خطط المقريزي ج ٣ ص ٤٣٦ .

أحـــــرف القرآن

للأستاذ عبد الستار أحمد فراج

كان حق هذا المقال أن يسبق مقالات القبائل والقراءات ولكني أخرته عن عمد فلما رأيته من تعرض له ومن كتب من المحدثين فيه ومن استفهم عن معانيه كتبت هذا المقال .

معلوم لكل إنسان أن القرآن لم ينزل دفعة واحدة ولا في مكان واحد بل نزل منجما في ثلاثة وعشرين عاماً بمكة والمدينة وما حولها ؛ وكانت الآيات ينزل بها جبريل عليه السلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم فيتلقاها المؤمنون من فم الرسول ويكتبها من عرفوا بأنهم كتاب الوحي كما يمليها عليهم الرسول الكريم . وكان الإسلام في مكة محدود الأشخاص فلما هاجر النبي إلى المدينة اتسعت رقعة الإسلام وكثر عدد الداخلين فيه من قبائل مختلفة ولهم عادات صوتية تخضع لها ألسنتهم وتتحكم في ألفاظها ، فكان من سماحة الإسلام أن يترك الألسن على سجيتها من إمالة وتفخيم وما شابه ذلك من طريقة أداء اللفظ بنغمة تخضع لها عادة الإنسان اللغوية حيث لا يمكنهم أن ينسلخوا منها بسهولة .

وهذه الإباحة أرشد إليها الحديث المرفوع « اقرءوا القرآن بلحون العرب وأصواتها » وفهمت من أن الرسول قرأ تأمال « يحيى » فلما سئل في ذلك قال هذه لغة الأخوال بني سعد .

أما حديث أنزل القرآن على سبعة أحرف فلم يكن مقصوداً به اللهجات التي هي عادة لغوية تتحكم في عضلات النطق . وكل توجيه لهذا الحديث على أنه يراد به لهجات القبائل ، إنما هو توجيه خاطئ أو هروب خاطئ من معناه الحقيقي الذي تظاهره جميع الروايات الصحيحة لهذا الحديث

وآخر ما قرأته متعلقاً به هو ما جمعه من عدة كتب الأستاذ عبد الوهاب حمودة في كتابه القراءات واللهجات وما حمله عليه الدكتور إبراهيم أنيس في كتابه اللهجات العربية متبعاً في ذلك رأياً لبعض العلماء — ولي نقد على كتابيهما أرجو أن أنشره في الرسالة إن شاء الله — وقد كنت أحسبهما سيطلعان علينا في هذا الحديث — وهما أستاذان مساعدان بالجامعة ولهما على أساتذة — بالرأي الواضح المستقيم ، ولكن الأستاذ حمودة كانت مهمته عرض آراء ومحاولات التوفيق بينها دون أن يكون له مجهود يذكر .

والدكتور أنيس اختار أشهر التأويلات باعتبار أن الأحرف هي اللهجات كالإمالة والتسهيل مع أنها في الحقيقة أضعف التأويلات وينافيها سياق الحديث . وقبل شرح المقصود منه أرى أن أربط بين الحوادث والأحاديث حتى يستقيم الفهم ويتبين الموضوع .

زمن الحديث :

لم أجد — على الرغم مما قرأت — من ذكر العام ولو على وجه التقريب الذي قيل فيه هذا الحديث فرأيت أن أراجع طرقه ورواته من الصحابة ومن ذكروا فيه ، وظروفه فتبين لي ما يأتي :

١ — ليس هناك شك في أن الحديث كان بعد الهجرة لأن فيه من الصحابة الذين رووه أو وقعت منهم الحادثة . أبي بن كعب وزيد بن ثابت وأم أيوب وهؤلاء أنصار من أهل المدينة .

٢ — إن هذا الحديث كان بعد العام الثامن من الهجرة للأسباب الآتية .

(ا) من رواته أبو هريرة وقد أسلم سنة سبع من الهجرة .

(ب) من رواته عمرو بن العاص وقد أسلم سنة ثمان من الهجرة .

(حـ) ممن ذكروا في طرق الحديث زيد بن ثابت على أنه أقرأ غيره ، وزيد بن ثابت كانت سنه حين قدم الرسول المدينة أحد عشر عاماً ، ولا يكون زيد مقرئاً لغيره إلا بعد أن يتجاوز حد الحلم وعلى أقل تقدير تكون سنه ليؤخذ عنه القرآن في عهد الرسول سبعة عشر أو ثمانية عشر عاماً .

(د) من رواة الحديث ابن عباس وهو قد ولد قبل الهجرة بثلاثة أعوام ولا يشترك في الرواية ولا يهتم بها إلا بعد أن يتجاوز العاشرة من عمره على الأقل ولا يتجاوزها إلا بعد سنة سبع من الهجرة .

(هـ) وأقوى دليل وأثبته أن النزاع في القراءة كان بين عمر بن الخطاب وهشام بن حكيم وقد أسلم هشام يوم فتح مكة وكان فتحها في العام الثامن الهجري في أواخر رمضان ولم يرجع الرسول إلى المدينة إلا في ذي الحجة فعلى أقل تقدير يكون الحديث في أوائل العام التاسع الهجري .

(و) من الذين رووا الحديث من الصحابة أبو بكرة نفيع ابن الحارث وقد أسلم في حصار الطائف ، وقد كان ذلك في أواخر شوال وأوائل ذي القعدة من العام الثامن الهجري .

(ز) يضاف إلى هذه الأدلة القاطعة أن الحكمة التي قصدها الإسلام من الحديث والتي ستظهر لنا بعد الشرح كان وقتها المناسب حينما كثر المسلمون كثرة تجعل من العسير الإشراف عليهم جميعاً ولم يكثروا إلا بعد فتح مكة .

وإذن لقد هاجر رسول الله واتسعت دائرة الإسلام وكثر الأتباع وقد مضى عليهم ثلاثة عشر عاماً في مكة وثمانية أعوام في المدينة يقرءون بلغاتهم اللغوية فلم يصل إلينا أن بعضهم أنكر على بعض في القراءة أوشك بعضهم في تلاوة الآخر . نعم لقد مضى على الإسلام والقرآن في مكة ثلاثة عشر عاماً نزلت فيها بضع وثمانون سورة ثم ثمانية أعوام في المدينة نزل فيها كثير من السور فما حدث خلاف بينهم مع إسلام كثيرين ممن لهم لهجات مختلفة من إمالة وتسهيل وغير ذلك وما أتانا خبر عن تنازعهم الذي أدى إلى أن يلبب عمر هشام بن حكيم بردائه وهما قرشيان لهجتهما واحدة ويذهب به إلى الرسول ليستقرئه وإلى أن يدخل الشك في قلب عمر فيقول الرسول ثلاثاً : أبعد شيطاناً . وأن يدخل قلب أبي بن كعب من التكذيب ولا إذ كان في الجاهلية فيضرب الرسول صدره فيتصبب عرقاً —

العرب أمة أمية أقلهم لم يقرأ كتاباً قط « ومنهم — كما في الحديث — الشيخ الفاني ومنهم الغلام ومنهم العجوز الكبيرة وهؤلاء تعجز ذاكرتهم عن الحفظ الوثيق وبخاصة أن القرآن قد كثرت سوره وتعددت آياته والرغبة الدينية في النفوس قوية يحرصون على تلاوة القرآن فلا تنزل آية إلا بادروا إلى استماعها وتلقيها ، ولكن ما يكادون يمر عليهم زمن حتى يشتبهوا أن يكون هـذا اللفظ أو مرادفه هو المنزل وأكثرهم لم يكتبوه لأميتهم فيرجعوا إلى الرسول وإلى من كتبوه يستعيدون ما تلقوه ويتكرر ذلك والرسول يشهد ما هم فيه من معاناة وما يبذلونه من جهد ، ويعلم — كما قال لهم — أن القرآن أشد انفلاتاً من الإبل في عقلها ورأى أفراد الأمة بعد فتح مكة قد كثروا . فمن يرعاهم إذا اختلفت ألفاظهم ومن يردهم إذا نقصوا أو زادوا .

والرسول كما قال الله فيه بالمؤمنين رءوف رحيم يسعى إلى التخفيف عن الأمة ولا يريد أن يشق عليها فقد سأل الله من قبل أن يخفف عنهم الخمسين صلاة حتى صارت خمس صلوات في اليوم والليلة . فلجأ الرسول صلى الله عليه وسلم إلى الله يسأله التخفيف عن أمته والرحمة بها « إني بعثت إلى أمة أميين منهم الغلام والخادم والشيخ الفاني والعجوز الكبيرة » « فأتاه جبريل فقال إن الله يأمرك أن تقرئ أمتك القرآن على حرف واحد فقال الرسول أسأل الله معافاته ومغفرته سل الله لهم التخفيف فإنهم لا يطيقون ذلك فانطلق جبريل ثم رجع فقال إن الله يأمرك أن تقرئ أمتك القرآن على حرفين قال أسأل الله معافاته ومغفرته رب خفف عن أمتي فإنهم لا يطيقون ذلك فانطلق جبريل ثم رجع فقال إن الله يأمرك أن تقرئ أمتك على ثلاثة أحرف فقال أسأل الله مغفرته ومعافاته إنهم لا يطيقون ذلك سل الله لهم التخفيف فانطلق ثم رجع فقال إن الله يأمرك أن تقرئ أمتك القرآن على سبعة أحرف فمن قرأ منها بحرف فهو كما قرأ ما لم تختم آية رحمة بعذاب أو آية عذاب برحمة » .

لقد جاءت رحمة الله وصدر الإذن بأن يقرأ القرآن بحروف مختلفة والسبعة لا مفهوم لها بل هي دليل الكثرة يعلمه جبريل الحروف وهي الألفاظ وأداء الجملة — كما تؤيد ذلك اللغة — على شريطة ألا يتغير المعنى ولا يختلف السياق فبدأ الرسول يلقن الصحابة ما أنزل الله عليه ، هذا يلقنه الآية بألفاظ وذاك يلقنه الآية بالألفاظ مع اختلاف في بعضها وإن كان المعنى واحداً . لقنه كل هذا جبريل بإذن من الله العزيز الحكيم « فأيما واحد أصاب من ذلك حرفاً فهو كما قرأ »

فبدأ المسلمون وقد حفظوا ما لقنهم فدخل عمر بن الخطاب المسجد فسمع هشام بن حكيم وهو قرشي مثله يقرأ سورة الفرقان بخلاف ما لقنه الرسول فكاد يساوره في الصلاة فصبر حتى سلم

فلما سلم لببه بردائه وقال له من أقرأك هذه السورة التي سمعتك تقرؤها قال أقرأنيها رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال كذبت فو الله إن رسول الله لهو أقرأني هذه السورة التي سمعتك تقرؤها فانطلق يقوده إلى الرسول فقال يا رسول الله إني سمعت هذا يقرأ سورة الفرقان على حروف لم تقرئنيها وأنت أقرأتني سورة الفرقان فقال الرسول أرسله يا عمر اقرأ يا هشام فقرأ عليه القراءة التي سمعه عمر يقرؤها فقال الرسول هكذا أنزلت ثم قال الرسول اقرأ يا عمر فقرأ القراءة التي أقرأه الرسول فقال الرسول هكذا أنزلت فوقع في صدر عمر شيء فعرف النبي صلى الله عليه وسلم ذلك في وجهه فضرب صدره وقال ابعد شيطاناً ابعد شيطاناً ابعد شيطاناً ثم قال يا عمر إن هذا القرآن أنزل على سبعة أحرف فاقرءوا ما تيسر منها إن القرآن كله صواب ما لم تجعل رحمة عذاباً أو عذاباً رحمة » .

وإذا في صلاة أخرى كان أبي بن كعب في المسجد فدخل رجل يصلي فقرأ قراءة أنكرها عليه ثم دخل رجل آخر فقرأ قراءة غير قراءة صاحبه وقال كل منهم إن الرسول أقرأه كذلك فدخلوا جميعاً على الرسول فقال أبي يا رسول الله إن هذا قرأ قراءة أنكرتها عليه ثم دخل هذا فقرأ قراءة غير قراءة صاحبه فأمرهما فقرآ فحسن شأنهما فوقع في نفس أبي من التكذيب ولا إذا كان في الجاهلية فلما رأى الرسول ما غشيه ضرب في صدره ففاض عرقاً كأنما ينظر إلى الله فرقاً ثم قال له الرسول يا أبي أرسل إلي أن اقرأ القرآن على حرف فرددت عليه أن أهون على أمتي ... الخ الحديث » .

وظل الأمر كذلك وعرف كثير منهم السبب في الاختلاف والحكمة الإلهية ولكن ما زال بعض الصحابة يذهبون إليه يشكون فهنا رجل جاء إليه فقال أقرأني عبد الله بن مسعود سورة أقرأنيها زيد بن ثابت وأقرأنيها أبي بن كعب — وزيد وأبي أنصاريان خزرجيان يجاريان — فاختلفت قراءتهم فبقراءة أيهم آخذ فسكت الرسول وعليّ إلى جنبه فقال علي ليقرأ كل إنسان كما علم كل حسن جميل » . ثم ما زال بعض الناس يختلف ويشكو فهذان رجلان قد اختلفا في القراءة فقال هذا أقرأني النبي وقال هذا أقرأني النبي فأتى النبي فأخبر بذلك فتغير وجهه ثم قال اقرءوا كما علمتم وقال إنما أهلك من كان قبلكم اختلافهم على أنبيائهم فقام كل رجل وهو لا يقرأ على قراءة صاحبه » .

هـذا في الواقع هو ربط الأحاديث والتوفيق بينها وتلك مقتضيات ظروفها وملابساتها تؤيدها الروايات المختلفة والطرق المتعددة وليس فيها من التعنت أو الفهم الخاطىء شيء ؛ وقد أشار إلى كثير منها أجلة العلماء السابقين من أعلام الإسلام وإن كانوا لم يوضحوها كمال التوضيح .

فليست المسألة مسألة إمالة وتفخيم وترقيق إذ يناقض فهم أنها لهجات لفظ الحديث لأبي بكرة « كقولك هلم وتعال وأقبل » وقول أنس بن مالك خادم رسول الله حينما قرأ « وأصوب قيلا » فقال له بعض القوم يا أبا حمزة إنما هي أقوم فقال أقوم وأصوب وأهدى واحد .

وقول ابن شهاب ولعله الزهري : بلغني أن تلك السبعة الأحرف إنما هي في الأمر الذي يكون واحداً لا يختلف في حلال ولا حرام .

وقول الطبري : فقد أوضح نص هـذا الخبر أن اختلاف الأحرف السبعة إنما هو اختلاف ألفاظ كقولك هلم وتعال باتفاق المعاني لا باختلاف معان موجبة اختلاف أحكام .

وقول عبد الله بن مسعود « إنما هو كقول أحدكم هلم وتعال » . وهذا كله يبين لنا السر في بعض الاختلاف اللفظي في قراءة بعض القراء بالنسبة إلى غيرهم .

حفظ القرآن :

أما حفظ القرآن فيرجع إلى ما يأتي :

أولا : أن جبريل كان يدارس الرسول القرآن كل عام مرة ودارسه في العام الذي قبض فيه مرتين فكان هذا تمهيداً للنصوص

ثانياً : إن كتاب الوحي كانوا يكتبون نص ما ينطقه الرسول ولا يعتمدون على الحفظ فحسب .

ثالثاً : إن سيدنا أبا بكر حينما وافق على جمع القرآن كان زيد ابن ثابت يجلس أمام المسجد وهو يحفظ كتاب الله ولكنه يتلقى من الصحابة ما كتبوه على أن يشهد شاهدان أن فلاناً هذا سمع هذه الآية من فم الرسول وأن هذا المكتوب هو نفس ما سمعه

في التقريب بين اللغتين

للأستاذ محمود أحمد الغمراوي

قرأت في الأهرام كلمتين في التقريب بين اللغتين : أولاهما لعبد الحميد عمر أفندي بمحكمة النقض ، وثانيتهما لأحمد عبداللطيف بدر أفندي المدرس ببور سعيد ؛ وقد تضمنت الأولى دعوة موجهة إلى الخاصة أن يتركوا اللغة العربية الفصحى وأن يستبدلوا بها في مخاطباتهم ومكاتباتهم ما يستعمله العامة في مخاطباتهم من الجمل والكلام ، فيستعملوا مثلا جملة (حضروا الرجال) التي تجرى على ألسنة العامة بدلا من (الرجال حضروا) إذ لا مانع عنده من ذلك ما دام مثل هـذا الاستعمال قد ورد في التنزيل الحكيم في قوله تعالى (وأسروا النجوى الذين ظلموا) — سورة الأنبياء — وفي قوله تعالى (ثم عموا وصموا كثير منهم) في سورة المائدة (لا العنكبوت) كما قال ؛ وقال إنه لا يهمه الاختلاف في أوجه الإعراب في الآيتين ما دامت العبرة هي بالاستعمال ، وليس يعنيه أن يكون (الذين ظلموا) في الآية الأولى فاعلا أو بدلا أو غير ذلك . وكذا لا يعنيه ما يقال في الآية الثانيـة (ثم عموا وصموا كثير منهم) من أوجه الإعراب .

وتضمنت الكلمة الثانية أن كاتبها : أحمد عبد اللطيف بدر أفندي يخالف الأول في رأيه لما يترتب عليه من أن جعل فاعلين لفعل واحـد كما في لغة (أكلوني البراغيث) على زعمه يؤدي إلى تناسي القاعدة الأصليـة ، ويرى أن يكون التقريب بين اللغتين بإشاعة الألفاظ الحرة وإحلالها محل الألفاظ الفصيحة فتستعمل كلة (مِن) مكان (مَن) ولفظ (فين) بدل (أين) و (اشمعنه ومنين) مكان (لِمَ) و (من أين) . وزعم أن ورود الآيتين الكريمتين على لغة (أكلوني البراغيث) وهي غير اللغة الفصحى إنما كان للتحدي والإعجاز والدلالة على أن القرآن من صميم لغة العرب على تباين لهجاتها ، ولذلك جازت القراءات المتعددة فيه ، وأول المفسرون الآيتين بما يدنيهما من اللغة الفصحى الخ .

ضنارع في ظلماء ليل تجاريت :

وليت شعري كيف يكون التحدي بغير الفصيح للإعجاز ؟ أم كيف يتوهم ذو علم أن المفسرين يؤولون القرآن بما يدنيه من اللغة الفصحى وهو في أعلى طبقات البلاغة ؟

وأنه كتب بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم فجمع كل هذا الذي شهد عليه لا غير وحفظ هـذا المصحف إلى خلافة عثمان فكثر اختلاف الناس في القراءات وكادوا يقتتلون فجمع الناس على مصحف واحد نسخوه من المصحف الذي عند حفصة وكان الناسخون هم زيد بن ثابت وعبد الله بن الزبير وسعيد ابن العاص وعبد الرحمن بن الحارث المخزومي » وقد تركوا ما خالف المصحف الموجود من زيادة ونقص وإبدال كلة بأخرى مما كان مأذونا فيه توسعة عليهم ولم يثبت ثبوتا مستفيضاً أنه من القرآن « ثم أمر سيدنا عثمان ووافقه المسلمون حرصاً على وحدة الأمة وجمعا لكلمتها وخشية أن يدخل في القرآن ما ليس منه فأحرقت جميع المصاحف الأخرى التي لا تتفق مع المصحف الإمام . وإذن فقد أصبحت هذه المصاحف التي أجمع عليها المسلمون هي التي يعول على رسمها في القراءة وأضيف إليها شرط صحة سندها وأن توافق العربية ولو بوجه من الوجوه واعتبر ما عدا ذلك شذاً فما خالف اللغة العربية باطل من أساسه وما خالف الرسم العثماني شاذ تعبداً حيث خالف إجماع الأمة مع صحة سنده وما لم يصح سنده شاذ حيث لا دليل على قرآنيته . والواقع أن ما خالف الرسم العثماني قد هجره العلماء السابقون فانقطع سنده فأصبح مشكوكا في كونه من السبعة فبعد عن أن يكون قرآنا تصح به الصلاة والعبادات وشرط التعبد بالقرآن أن يكون متصل السند صحيح الرواية مقطوعاً بقرآنيته .

أما الآراء التي تقول إن السبعة الأحرف هي حلال وحرام وترغيب وترهيب ... أو أنها محكم ومتشابه وقصص وأمثال ... أو أنها أمر ونهي ... الخ فكلها آراء بالغة الضعف لا تستند على أوهى دليل . ولعل في ما كتب تبياناً وتوضيحاً سليما مقبولا من كل وجه والله أعلم بكتابه وهو بكل شيء عليم .

عبد الستار أحمد فراج

محرر بالمجمع اللغوي

قد أخطأ الأستاذ أحمد عبد اللطيف في عائبه أن لغة (أكلوني البراغيث) أماها الضعف من ناحية أنها تعتمد فاعلين لفعل واحد؛ فما اعتراها الضعف إلا لأنها تلحق بالفعل علامة التثنية والجمع عند إسناده إلى ظاهر مثنى أو مجموع، إذ ليس ثمة حاجة إلى هذه العلامة والواو في الجملة حرف وليست بضمير — كما ظن — حتى تكون فاعلا على هـذه اللغة (شرح ابن عقيل قول ابن مالك في باب الفاعل):

وجرد الفعل إذا ما أســـندا لاثنين أو جمع كفاز الشهـدا

وأخطأ الكاتبان القصد، إذ يرى الأول أن تستبدل اللغة العامية باللغة العربيـة الفصحى، ومعنى ذلك إهمال اللغة العربية وإهدار قواعدها، وإفساد نظامها؛ وإذ يرى الثاني أن تترك المفردات الفصيحة ويستعاض عنها بالحرف والدخيل، فإنه إذا ضم رأى كل منهما إلى رأى صـاحبه كان منهما مزيج قاتل للغة مفسد لمفرداتها وتراكيبها، هادم لقواعدها، مود بنظامها، مقوض لبنائها المحكم الرصين. يقول عبد الحميد أفندى عمر إنه لا يرى مانعاً من أن يستعمل الخاصة ما يجرى على ألسنة العامة في الخاطبات والمكاتبات بدلا من الفصيح، إذ قد ورد في التنزيل الحكيم نظير هذا الاستعمال، وإنه لا يهمه الاختلاف في أوجـه الإعراب، ولا يعنيه أن تكون كلة (الذين) وكلة (كثير) في الآيتين فاعلا أو بدلا ما دام الاستعمال قد ورد به. ولم يدر أن الإعراب هو الذى يفتح مغاليق الكلام ويبين أغراضه ومعانيه ويكشف عن وجه الدلالة فيـه فيعرف الحسن المقبول ويتميز من المردود المرذول.

وإذا كان لا يدرى لم يعنون أن تستعمل جلة (حضر الرجال) كما تستعمل كلة (الرجال حضروا) وأن تكون مساوية لها، فليعلم أنه يمنع من المساواة بينهما أمور بعضها يرجع إلى اللفظ وبعضها يرجع إلى المعنى. فما يرجع إلى اللفظ الثقل الذى جلبـه حرف العلة الساكن الذى جيء به ليكون علامة على الجمع دون حاجة داعية، فإذا حـذف لالتقاء الساكنين بقى الفعل مضموم اللام فيلتبس عند الوقف على الرجال بالاسم الدال على المعنى المقابل للبدء، وذلك خلل معنوى، وإذا ضم الفاعل بقى الثقل الناشيء من توالى ثلاث واوات أولاها مضمومة وثانيها مكسور، وهى مع اللام الأخيرة في الرجال تخرج من اللسان، وانتقال اللسان من ضم إلى كسر ثم ضم في حروف متحدة المخرج تقريباً فيه صعوبة لا تخفى. فالجلة الأولى (حضرو الرجال) تشتمل على مخالفة القياس بضم آخر الماضى حيث ينبغى أن يفتح وفيها ثقل قد عرفته وتعقيد قد تبينته. ثم إن فيها وراء ذلك مانعاً آخر يمنع من مساواتها الجملة الفصيحة وهو أنها ليس فيها سوى إسناد واحد، ولا تقال (بعد أن تصحح) إلا لخالى الذهن. أما الجـلة الثانية الفصحى فإنها مشتملة على إسنادين ويخاطب بها من يكون شاكا في أن الرجال المعهودين له قد حضروا، فلكل منهما مقام يغاير مقام الأخرى. هذا ما يتعلق بالفرق بين الجملتين.

فأما الآيتان الكريمتان فإن من المقرر أن قراءة القرآن سنة متبعة فلا تجوز القراءة بغير ما روى عن النبى صلى الله عليـه وسلم وإن كان مما تسوغه القواعد العربية: ذلك بأن ما روى عن النبى هو المثل الفصيح الكفيل بأداء الأغراض المقصود أداؤها من النظم. وليس كل ما جاز عربية بالذى يقرأ به بذلك؛ فليس كل ما جاز عربية جاز قراءة. ولنسق لذلك مثالا: قوله تعالى (خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها) قرئ تطهرهم بالرفع على أن الجلة صفة لصدقة، على أن الجزم سائغ عربيـة في جواب الأمر، لكن لم يقرأ به أحد من السبعة، ذلك بأن الجزم في جواب الأمر يقتضى ترتب التطهير على مجرد أخـذ الصدقة منهم كما يترتب الجزاء على الشرط، وليس الأمر على ذلك؛ فقد يؤدى بعض الناس الصدقة وهو شحيح بها كاره لأدائها فلا تكون صـدقة مطهرة له ولا مزكية لنفسه، وإنما تطهر الصـدقة معطيها وتزكيه إذا أداها طيب النفس راضياً وجاد بها آنا بعد آن ومرة بعد مرة حتى تبرأ نفسـه من داء الشح ووصمة البخل؛ وهذا سر التعبير بالفعل المضارع والإتيان بالصفة جـلة فعلية دون أن تكون اسما مفرداً. هذا ولنعد إلى الكلام في الآيتين فنقول:

قد جرى المفسرون على أن يوردوا عنـد تفسيرهم للآيات ما تحتمل من أوجه الإعراب حسبما تقتضيه الصناعة النحوية دون نظر إلى ما يكون منها مناسباً للمقام ولما تقتضيه البلاغة. بيد أن الخاصة منهم كالزمخشرى ومن اقتفى أثره يقدمون الوجه المناسب على غيره في الذكر حسبما أوتوا من ذوق علمى. وقد يقتصر ما أوتوه

من الذوق عن إدراك دقائق المعاني والإحساس بلطائفها فيخطئون. وفي هاتين الآيتين قدموا الوجه الإعرابي اللازم للأسلوب البليغ الأعلى على سواه، فقدموا إعراب (الذين) و (كثير) بدلا على سواه من الأوجه وأصابوا. ووجه الصواب فيه ظاهر لمن ألم بقواعد البلاغة وتذوق أساليب البيان؛ فالآية (وأسروا النجوى الذين ظلموا ..) جاءت عقب الحديث عن الناس والتعجب مما هم فيه من غفلة عن العاقبة وإعراض عن ذكرها وعن التفكير في أمرها مع اقتراب حسابهم ودنو وقت جزائهم وعقابهم على ما فرطوا في جنب الله، وإذا أتاهم ذكر من ربهم استمعوه وهم يلعبون، لاهية قلوبهم وأسروا النجوى استخفافاً واستهزاء بمن يذكرهم مستنكرين أن يكون أهلا لأن يختصه الله بأن ينزل عليه الذكر من بينهم قائلين (هل هذا إلا بشر مثلكم) فالضمائر كلها جارية على جماعة الناس؛ ولما كان الخاصة من الزعماء والقادة هم الذين يقاومون الداعي إلى الحق والمذكر به ويتناجون فيما بينهم بما يتناجون به من الكيد له والاستهزاء به والعامة تبع لهم فيما يكيدون ويدبرون أسند الأسرار إلى الضمير العائد إلى الناس إشعاراً بأن للعامة كفلا من أوزار الخاصة لتابعتهم لهم؛ ثم أبدل الإسم الموصول من الضمير لبيان من يصدر عنهم الإسرار بالنجوى وقول الزور على الحقيقة وهم أولئك الزعماء الذين ظلموا أنفسهم بالإعراض عن الحق استكباراً وظلموا الناس بإضلالهم وصرفهم عنه وصدهم عن سبيله استبقاء لنفوذهم وحفظاً لسلطانهم؛ ولم يقل وأسر النجوى الذين ظلموا لأنه يؤذن بانقضاء الحديث عن الناس عند (لاهية قلوبهم) وابتداء حديث عن أناس ظالمين يسرون النجوى في أمر الرسول واتهامه بأنه ساحر الخ فينقطع حبل الكلام ويختل نظمه ولا يتأدى الغرض الذي تأدى بإسناد الفعل إلى الضمير ثم إبدال الإسم الموصول منه. هذا إلى أن البدل مؤذن بفعل مماثل للفعل المذكور، لأن البدل مقدم على نية تكرار العامل فيفيد تأكيد حصول الإسرار بالنجوى من الذين ظلموا. وعلى هذا النحو يسهل على القارئ أن يتبين ما في آية المائدة: (لقد أخذنا ميثاق بني إسرائيل وأرسلنا إليهم رسلا، كلما جاءهم رسول بما لا تهوى أنفسهم فريقاً كذبوا وفريقاً يقتلون. وحسبوا أن لا تكون فتنة فعموا وصموا ثم تاب الله عليهم، ثم عموا وصموا كثير منهم والله بصير بما يعملون) فيعرف ما فيها من أسرار البلاغة. هذا.

أما بعد فقد غشيت العرب والمسلمين غاشية ليس لها من دون الله واقية، وأزفت الآزفة حتى صدت أبصارهم لما كاشفة، فهم يفتنون في كل عام مرة أو مرتين ثم لا يتوبون ولا هم يذكرون؛ بل غدوا على حرد قادرين، ولأنفسهم ظالمين، وعن دينهم معرضين، ولشريعة الله هادمين، ولكتاب الله ولغة العرب محاربين. يعبث بلغة القرآن صبيانهم، ويجرؤ على الطعن في كتاب الله والقول فيه بغير علم جهلاؤهم وكبراؤهم، ويطفئون نور العلم في معاهده، ويأتون بناء الدين واللغة من قواعده، حتى عمت الطامة، واستحكمت النقمة، وحقت الكلمة. فهل في المسلمين لدين الله من صديق، وهل للغة العرب بين أبناء العرب من شفيق أو رفيق؟ أم هل فيهم من مفيق، وهل يعتبرون بهذه الأحداث، التي ستقذف بهم — إذا لم يفيقوا — إلى بطون الأجداث؟

اللهم احفظ دينك واحم كتابك، وابعث في نفوس العرب والمسلمين روحاً منك تحيي به دينهم وتحمي لغتهم وأوطانهم وتدفع عنهم كيد الكائدين وعبث العابثين المفسدين إنك نعم المجيب.

محمود أحمد الغمراوي

من علماء الأزهر

مسابقة الفلسفة لطلاب السنة التوجيهية (٦) :

(٢) مشكلات الفلسفة (١)

للأستاذ كمال الدسوقي

يعز عليّ الا أستطيع أن أحدثكم في « مشكلات الفلسفة » في أكثر من هذا المقال ؛ قبل أن يفجأنا الامتحان — لتواجهوه مواجهة الأبطال الكماة — فقد أنسانا حديث ابن سينا من الوقت أن نذكره ؛ وما أكثر ما كنت أحب أن أقول في برتراند رسل!

حسبكم في تاريخ حياة هذا الفيلسوف العظيم وفي كتاباته ما جاء بمقدمة الترجمة العربية لكتابه الذي بين أيديكم ، فلن تظفروا في حياة فيلسوف معاصر بأكثر من هذا القدر ، إذ قلما تعرف أقدار الرجال وهم ما زالون أحياء ؛ وإن كان فيلسوفنا ليرى مجده وعظمته حيا ...

والترجمة التي لديكم لهذا الكتاب سهلة واضحة الأسلوب لا تخلو من روح المؤلف في كثير من المواضع ، فهي حسنة ومؤدية الغرض ، ومُغنية عن النص الأصلي إن لم يجدوه ؛ فيما عدا الكثير من الأخطاء المطبعية ، وبعض السقطات النحوية واللغوية التي يسهل تداركها من جانب القارئ .

والمحاضرات التي جمعها رسل في كتابه باسم « مشكلات الفلسفة » تمثل بدء اتجاهه المنطقي والمذهبي أولى من أن تعرض صورة ناضجة للمذهب في نموه واكتماله . لأنه من أوائل كتبه الفلسفية . ويمكن جمع مشكلاته تحت رؤوس ثلاثة . فالمحاضرات الأربعة الأولى تعالج فلسفة الوجود ، والأربعة الأخيرة تتناول مشكلة الحقيقة ومدى ما تصل إليه المعرفة الفلسفية ، والفصول الوسطى — وهي القسم الأكبر — تعرض لنظرية المعرفة بمختلف أنواعها . وليست الأقسام محددة المعالم ، بل تختلط فيها هذه المباحث وغيرها اختلاطاً يظهرك على روح رسل الفيلسوف الرياضي المنطقي المجدد . ولنتناول هذه المشكلات في سرعة وإيجاز:

في الفصل الأول محاولة للتفرقة بين الظاهر appearance والحقيقة reality بين معطيات الحس sense data والشيء الطبيعي الحقيق physical object الذي هو غير ذاتنا ، والذي لا يتوقف وجوده على إدراكنا . وأهم ما في هذا الفصل غير هذا تقرير أن الإدراك للمائدة مثلاً لا يتم بالحواس مباشرة ، بل هو استدلال واستنتاج نستخلصهما مما نحس ؛ وإلا لم نستطع أن نتصور وجود المائدة ما لم ندركها ، وجوع القطة ما لم نرها في أمكنة مختلفة (ص ٢٣) .

أما الفصل الثاني فيتصدى لبحث وجود المادة ، ويأخذ بمنهج ديكارت الذي يبدأ بالشك للوصول إلى اليقين ، وبإثبات الذات لإثبات الموضوع إلا أن الذات التي يثبتها ديكارت لا يلزم أن تكون دائمة ؛ بل قد تكون الأنا المدرك في لحظة إدراكه . وإذا صح أن أفكارنا ومشاعرنا الخاصة ، وكذلك الأحلام والأوهام والإدراكات الحسية العادية هي ما يتصف باليقين الفطري ؛ فقد لا تكون هذه رموزاً وعلامات للشيء الطبيعي المراد إثباته . وهنا نقف حائرين مع المؤلف بين نوعين من البرهان : الإدراك العادي البسيط يظاهرنا على أن المائدة وغطاءها وأدوات الطعام فوقها ليست مجرد معطيات حس لا حقيقة لها ، وحين أشترى المائدة لا أشترى مجموعة معطيات حس صاحبها ؛ بل شيئاً حقيقياً ، وحين تتفق مجموعة من الناس على رؤية مائدة — مع فارق بسيط — لا يتفقون إلا على وجود حقيق — بينما المنطق يرى أن ليس ما يمنع من افتراض أن العالم يتكون — كما عند بركلي والمثاليين عموماً — من ذاتي وأفكاري وشعوري وإحساسي ، وما عدا ذلك فهو وهم وخيال ؛ وأن الحياة فإنها حلم نبدع فيه بأنفسنا كل ما تمثله أمامنا ؛ وشهادة الآخرين كذلك ليست حجة علينا ، فقد يكون وجودهم أنفسهم من صنعنا ، وهم حلم يتراءى لنا ... وينتهي هذا الفصل بالأخذ بالإدراك العادي البسيط القائل بالنظرية الطبيعية ، ووجود أشياء لا يعتمد وجودها على إدراكنا . ونحن مهيأون للاعتقاد بها بالغريزة ، ولا نستطيع رفع هذا الاعتقاد حتى يقوم الدليل على خطئه وتناقضه مع غيره . وإذا كان من بين هذه الاعتقادات الغريزية ما هو أقوى ، وما هو شبه غريزي دخيل ؛ فإن مهمة الفلسفة أن تبحث أيّ هذه البديهيات والمسلمات أولى بالقبول أو الرفض أو التعديل . وإلى أن تنهض بهذا التنظيم والفحص النقدي يجب أن نأخذ بهذه المعتقدات في شيء من الحيطة والشك .

وإذ ثبت أن الظاهر الحسي دليل على الحقيقة الموضوعية يشرع رسل في بحث ماهية المادة ، فيفند التفسير العلمي الفرضي الناقص من حيث نظرته للضوء والصوت وغيرهما بوصفها حركات تموجية ؛ مع أنها في حقيقتها أكثر من هذا : إدراك نحسه بالسمع والبصر ولا نستطيع وصفه أو نقله للأعمى أو الأصم . وينقد كذلك نظرة العلم إلى المكان والزمان العامين المحايدين للشيء الحقيقي (المكان الطبيعي والزمان العام كما يسميهما) بصرف النظر من مكاننا وزماننا الخاصين كمدركين للأشياء الطبيعية في المكان والزمان الطبيعيين ... يريد رسل أن يخلص من هذا مرة أخرى إلى توكيد التفرقة بين الشيء الطبيعي في المكان الطبيعي والزمان العام ؛ في مقابل معطيات الحس في مواضع مكانية خاصة وزمان تقديري خاص (والأولى منها لا نعرفها في ذاتها ؛ بل نعرف نوع تنظيمها نتيجة علاقاتها المكانية) ، وإلى تقرير أن هذه الخواص والعلاقات القائمة في مقابل الأشياء الطبيعية ومعطيات الحس هي ما يمكن معرفته ؛ أما الماهية فتبقى مجهولة ؛ برغم أن معطيات الحس إن لم تكن هي الأشياء الطبيعية على حقيقتها ؛ فإنها تشبهها قليلا أو كثيراً .

أفليس ثمة إذن دليل على أن المادة الحقيقية التي سلمنا بها ماهية معلومة ؟ يرى الفلاسفة المثاليون — وعلى رأسهم بركلى Berkeley أن كل وجود فهو عقلي — حتى المادة ذاتها — ويدفعون عن مذهبهم بأدلة مستمدة في معظمها من نظرية المعرفة والشروط التي يجب توافرها في الأشياء لنعرفها . وعندهم أن وجود الشيء هو إدراكه ، وحين يقال لهم إن الأشياء توجد حتى ولو لم ندركها يقولون : إن الله يدركها حينئذ ، وهو سر وجودها . فما يسميه رسل « الشيء الطبيعي » هو عندهم « أفكار في عقل الله » ، وما يسميه معطيات الحس هو مشاركتنا نحن الجزئية في هذه الأفكار . ويأخذ رسل على هذا المذهب (ويحسن أن ترجعوا إلى مذهب بركلى على الأقل لتقفوا على نموذج من المذهب المثالي في مصادره) :

١ — أن الذي في عقولنا هو فكرة الشيء لا الشيء نفسه .

٢ — يثير بركلى مشكلة أخرى هي : ما يعرف مباشرة يجب أن يكون في العقل ؛ بدلا من مشكلته : وجود الشجرة ولو لم ندركها .

٣ — فكرة المائدة مثلا يمكن تحليلها إلى فعل إدراك (هو عقلي لا شك) وشيء مدرَك (لا يمكن أن يكون عقلياً بحال) . وبالجملة يرى رسل أن بركلى قد خلط بين الشيء موضوع الإدراك وفعل الإدراك ذاته ، وأخذ كلمة فكرة notion بمعنى الأشياء المدركة ، فجعل المدرَك والإدراك شيئاً واحداً ؛ بينما التمييز بينهما ضروري ، لأن قدرة العقل إنما تقوم في تحصيل معرفة خارج ذاته ؛ أي إدراك ما ليس بعقلي . فهو قد أخطأ في الشكل والموضوع . أما النظرية التي تقول إن ما يثير أهمية لدينا لا يمكن أن يكون حقيقياً ، وبالتالي لا يمكن أن نعرف أنه يوجد شيء نحن لا نعرفه ؛ فهي نظرية واضحة البطلان تقوم على الرغبة والمنفعة وتفترض أن المادة ما لم تكن مكونة من عقول وأفكار عقلية فهي أمر مستحيل ووهم مجرد . وينتهي رسل هنا إلى تحليل ألفاظ الفعل « يعرف » في لغات مختلفة ليخلص من ذلك إلى نوعيه من المعرفة : معرفة الحقائق والمعرفة المباشرة .

وبذا نكون قد وصلنا إلى القسم الثاني في مشاكل المعرفة وهو أهم أقسام هذا الكتاب ؛ والمعرفة فيه نوعان : معرفة أشياء ومعرفة حقائق . أما الأشياء فمنها ما نعرفه مباشرة بإدراك الشيء بلا واسطة من عملية استدلال أو حقائق معلومة ؛ كمعطيات حسنا من المائدة من لون وشكل وصلابة . . وما نعرفه بالوصف كالمائدة ذاتها كشيء طبيعي بسبب معطيات الحس السابقة ؛ ووصف الحقائق شيء غير معلومة لدينا ماهيته على الإطلاق . فما نعرفه مباشرة من الأشياء الجزئية هو في الدرجة الأولى « معطيات الحس » ولكن لابد من معرفة الحقائق المجردة التي تسمى كليات :

٢ — فهناك الذاكرة مصدر كل معرفة بالماضي .

٣ — وهناك ثانياً التأمل الباطني والشعور الذاتي بالفاعلية الشخصية ثم بفاعلية الآخرين قياساً عليها — مما لا يوجد لدى الحيوان ؛ أي الشعور بالذات العارفة المدركة في مقابل إدراكاتها الخارجية — مهما كانت الذات متغيرة — شعوراً مباشراً (الفقرة الثالثة ص ٤٦ في غاية الأهمية في تلخيص هذا) .

٤ — وأخيراً المعرفة المباشرة للكليات والأفكار العامة . أي التطورات الذهنية للدرك الكلي .

أما الأشياء الطبيعية فنعرفها بالوصف ، ومن الوصف ما هو غامض مثل رجل ، وما هو محدود مثل : الرجل ذو القناع الحديدي . أما الغامض فيسقطه رسل ويطلق كلة الوصف على المحدد من نوعيه عموماً . وحينئذ يطلق الوصف ويراد به الفرد (هذا الشيء الفلاني) ونذكر له وحدة خاصة معينة يتميز بها دون أن يُعرف مباشرة من هو (الرجل ذو القناع أو المرشح الفائز ؟) . ومن الأوصاف الأعلام والكليات العامة حين لا نعبر بها صراحة ، حتى تختلف بين الأشخاص ، ولدى الشخص في أوقات مختلفة (ن ص ٤٩ : حكم بسمارك على نفسه معرفة مباشرة بالتأمل المذكور قبلا ، وحكم صديقه عليه مزاج من معرفة مباشرة لمعطيات الحس في ارتباطها بأوصاف جسمه وعقله التي يعرفها فيه كشيء طبيعي يدرك بالوصف ، ومعرفتنا نحن له وصفية صرف هي شهادة الغير والتصورات الجزئية والأحكام الكلية والتاريخية عليه) . لاحظوا أننا هنا نبتعد عن المعرفة المباشرة ونوغل في المعرفة بالوصف على درجات أربع :

١ — فبسمارك الذي عرفه الناس يقارب من معرفة الناس المباشرة لشخص آخر (معرفة مباشرة رقم ٣) .

٢ — وبسمارك الذي عرفه الناس من التاريخ فقط لا نزال نعرف من هو .

٣ — والرجل ذو القناع الحديدي لا نعرف من هو ، ولكننا نستطيع أن نستخلص من صفته هذه أحكاماً كثيرة .

٤ — والرجل الذي عاش أطول مدة — لا يعرف عنه أكثر مما يتضمن هذا الوصف .

والكليات تسلسل يشبه تسلسل الجزئيات هذا ، والمهم هو مبدأ تحليل القضايا الوصفية : « كل قضية في مقدورنا أن ندركها يجب أن تتكون كلها من مجموعة مكونات نعرفها مباشرة » أي أن يكون معنى الحدود التي نستخدمها في القضية نعرفها مباشرة (مثال يوليوس قيصر) . وللوصف أخيراً أهمية تمكيننا من تجاوز حدود تجربتنا الخاصة ومعرفة الأشياء التي حال ضيق التجربة المباشرة دون إدراكها .

أما الاستقراء فنتخلص مشكلته في إمكان التوسع والتعميم وبالتالي التنبؤ بالأحداث المقبلة ، وتوقع أن وجود (ا) يستتبع دائماً وجود (ب) المرتبطة بها في تجربتنا (شروق الشمس غداً ، سقوط الأجسام بفعل قانون الجاذبية ...) فإن وجود شيئين في وقت واحد بصورة مطردة سبب كاف لتوقع وجود أحدهما متى وُجد الآخر في مناسبة تالية — أي أن كل علة تحدث نفس المعلول في نفس الظروف ، وإن كان احتمال تخلف المعلول عن العلة مستقبلا يجعل هذا المبدأ موضع شك . أما القوانين الطبيعية (كالحركة والجاذبية) فيطرّد وقوع الحوادث فيها بلا تخلف ، ومهمة العلم أن يكشف من هذا الاطراد Frequancy في وقوع الأحداث الطبيعية والتنبؤ بالمستقبل على أساس الماضي ، ما دام أن هذا الماضي مستقبل تحقق فعلا . ومبدأ الاستقراء بشطريه اللذين ورد ذكرهما ص ٥٨ وتعديلهما ص ٥٩ يفسران بوضوح هذه الفكرة . وعليكم أن تفهموا بعد هذا أن مبدأ الاستقراء قد يبرهن عليه بالتجربة الماضية ، ولكنه هو الذي يبرر لنا الاستدلالات المقبلة ، بمعنى أن ما سبق امتحانه من الأمثلة يصل بنا عن طريق الاستقراء إلى مبدأ عام يتولى هو البرهنة على ما لم نمتحنه بعد . فالاستقراء انتقال مما امتحناه إلى ما لم نمتحنه ، والمعرفة التي تظهرنا بالتجربة الماضية على شيء لم يحدث من التجربة بعد هي اعتقاد لا تؤيده ولا ترفضه ، ولكنه متأصل في نفوسنا بهذه التجربة .

وإليكم المبادىء العامة الأخرى التي تخلص لنا بالاستدلال من المحسوسات ، والتي ليس لها من اليقين إلا ما تستمده من التجربة أيضاً ، والتي حين تبرهن التجربة على يقينها وصحتها تصبح هي مبدأ يبرهَن به عن طريق الاستدلال منه . هذه المبادىء من الوضوح لدرجة أنها تقوم في أساس كل استدلال عقلي ، فلا مجال للشك فيها ، لأنها تقوم في العقل كبديهيات مسلم بها . وأهم هذه المبادىء مايسميه المنطق : قوانين الفكر الثلاثة :

١ — قانون الذاتية identity ورمزه : (ا) هو (ب) .

٢ — قانون التناقض contradiction ورمزه : ا ليس (ب) و (لا — ب) في وقت واحد .

٣ — قانون الثالث المرفوع excluded middle ورمزه :

(ا) إما (ب) (أو لا ب).

وكذلك المبدأ المنطقى: ما ينتج عن مقدمات صادقة فهو صادق، ولا يقتصر الأمر فى هذه المعارف الأولية على مبادىء المنطق، بل يوجد فى الرياضيات مثلا البديهية التى تقول: المساوى لأحد المتساويين يساوى الآخر، ورمزها: ا = ب، ب = حـ ∴ ا = حـ؛ وفى الأخلاق المبدأ الذى يقول: الإنسان ينشد السعادة ويتجنب الألم؛ وفى الاقتصاد المبدأ القائل: الإنسان يسعى بفطرته لخير نفسه ... فكل هذه مبادىء لا نستنتجها من الأمثلة، بل نوضحها بذكر أمثلة لها، فهى أولية عقلية غير مأخوذة من التجربة، بل موجودة فى العقل كبديهيات

وبالجملة يجب أن تفرقوا بين أحكام كلية تركيبية هى فى أصلها تعميمات تجريبية (كل إنسان فان) ومبادىء أولية عقلية غير مستنتجة بل موجودة أصلا فى العقل (كمبادىء الهندسة والأخلاق والاقتصاد والمنطق التى ذكرنا). أما الأولى فنحصلها بالاستقراء الذى هو تعميم وانتقال من جزئيات إلى كلى أعم وأشمل، وأما المبادىء العامة الكلية فقد تكفل بتفسير وجودها فى أذهاننا (كانت) الألمانى حين ميز بين قضايا تحليلية وأخرى تركيبية؛ الأولى فطرية هى بمثابة قوالب فى الذهن أولية وسابقة قبلية apriori والأخرى مستخلصة من التجربة استخلاصاً لاحقاً بعدياً aposteriori (ومن الخير هنا أن ترجعوا إلى تطبيق هيوم وكانت بأوسع من الفصل الثامن وخصوصاً فى تفرقة كانت بين الشىء فى ذاته والظاهرة، والفرق بينهما وبين الشىء الطبيعى ومعطيات الحس عند رسل فى الفصول السابقة).

ولن يعسر عليكم بعد هذا متابعة رسل فى تفصيله القول فى «عالم الكليات» وتطوره فى تاريخ الفلسفة، ثم فى «معرفتنا للكليات» مباشرة وبالوصف، ولكن يفيدكم كثيراً الوقوف عند صفحتى ٩٣، ٩٤ وتلخيص ما جاء فيهما فى جدول عام شامل لتقسيم أنواع المعرفة عند رسل؛ على نحو يتبين لكم منه بسهولة ما كان يتحدث فيه حتى الآن من معرفة الأشياء؛ ويرتبط فيه كذلك ما سيحدثكم عنه بعد من معرفة الحقائق الواضحة بالذوق فى بقية الكتاب.

كمال دسوقى

إلى جيش مصر الباسل

للأديب عبد الرحيم عثمان صارو

وقفت وحدك فى الميدان تصطرع … وهومت حولك الأعوان والشيع
فما وهنت ولا كلت جبابرة … بعزمة الجن فى الهيجاء تدّرع
يدق الذهب من الياقوت رائقه … والجوهر الحر فى النيران يلتمع
لما دعتك «فلسطين» لنجدتها … وقد ألمّ بها العدوان والفزع
نهضت تدفع عنها شر مغترب … باغ سواعده «الدولار» والجشع
يعيث فى حرمات الله مجترئا … لم تنج منه محاريب ولا بيع
تعامى عنه وعن آثامه دول … كبرى لها فى حواشى نفعه نفع
لم يثن عزمك بهتان الأمس ماجلبوا … ولم يلذك من الأصقاع ماجمعوا
فكيف لولم يشن ماشيك منتصب … قد كان يكره أن يلقاك تتسع
حفزت همة من هبوا ومن نهضوا … وصنت حومة من ناموا ومن هجعوا
وقفت كالصخرة الشماء كم ذهبت … بصفحتيها رقاب الموج تنقطع
ملاحم المجد لم تشهد نواظرها … كصارم لك فى الأهوال ينتزع
يُسقون منه الردى فى كل معترك … ويدبرون وقد خانتهم الخدع
سيهزمون بما ماتوا وما اختلقوا … ويقهرون بما كادوا وما صنعوا
شتان ما بين مأجور وبين فتى … لله والحق والعلياء يندفع
ياصارم الروح عند الروع ما برحت … أنباء نصرك عن الزاد والمتع
ولهت شعرى حتى كاد من وله … يختال فى جنبات الطرس لو تسع
ياليت لى نأى «هوميره» وأرغنه … رحت أشدو وراح الدهر يستمع
ماأعجز الشعر عن تصوير ماقصبت … ضراغم لك بالأحداث تصطنع
بعثت سيرة أجداد لنا سلفوا … كأنهم بك قبل البعث قد رجعوا
أيبتغى الدهر منا فوق ماصنعت … كفاك، معجزة تجلى وتبتدع
لله، لا لبروق النثر، صادقة … من الجهاد بها أقدمت تضطلع
قضية النيل لم يشغلك شاغلها … عن الوفاء بما ضنوا وما منعوا
راعت بطولتك الدنيا وأروع من … هذى حفاظك للعهد الذى قطعوا
حفاظك العهد والميثاق فى زمن … به العهود، كأشلاء الصدى، قطع
سلمت للشرق ترعاه وتعصمه … من كل مختتل أغرى به الطمع
يزهى بك القائد الأعلى وأنت به … تتيه فخراً على الدنيا وترتفع

عبد الرحيم عثمان صارو

تعقيبات

للأستاذ أنور المعداوي

«آرت الحرية» أمام القضاء الفرنسي :

كتاب ترجم إلى كثير من اللغات الحية ، ولقى اهتماماً كبيراً فى كل بلد حل ضيفاً على لغته وقرائه ، ذلك هو كتاب «آرت الحرية» للكاتب الروسى فكتور كرافتشنكو ... واليوم يثير هذا الكتاب أعظم ضجة عرفها محيط الرأى العام الفرنسى ، وردد صداها البرق إلى كل بقعة من بقاع العالم !

أما كرافتشنكو فكان موظفاً بالسفارة الروسية فى أمريكا ثم ترك منصبه وتخلى عن جنسيته ، ولجأ إلى حكومة البلد الذى يقيم فيه طالباً حمايته ... ثم ما لبث أن أخرج كتابه ليهاجم فيه نظام الحكم فى بلاده ، وليتحدث عن الجو القاتم الذى يكتم الأنفاس ويقبض الصدور ؛ ذلك الجو الذى قدر له يوماً أن يبشر فى رحابه ، وأن يطلع على كثير من قيوده التى تحد من حرية الرأى والفكر ، وتلغى كثيراً من القيم التى ينشدها الأحرار فى المجتمع الكريم !

لهذا كله أثار الكتاب اهتمام قرائه ... ولكنه عاد اليوم فراعهم بقدر ما راعهم ، حتى لقد أصبحوا يترقبون باهتمام بالغ نتيجة هذه الضجة التى أثارتها حوله مجلة «ليتر» الفرنسية ، وهى الضجة التى أخذت طريقها إلى القضاء منذ أيام !

ولقد ذهبت المجلة فى تجريحها للكاتب الروسى إلى أنه كذاب مخادع لا يمت إليه كتابه بصلة من الصلات ، وإنما هو من صنع قلم المخابرات السرية فى الولايات المتحدة ... وأمام هذا التجريح السافر لم يجد كرافتشنكو بداً من رفع الأمر إلى القضاء ، مطالباً بمعاقبة القائمين على أمر المجلة الفرنسية طبقاً لنصوص القذف فى القانون الفرنسى !

وفى سراى العدل فى باريس حيث عرضت هذه القضية المثيرة ، ضاقت القاعة على سعتها بجمهور يتلهف شوقاً إلى سماع كلمة القضاء فى حقيقة هذا الكتاب ... أهو حقاً من وضع مؤلفه أم هو من وضع غيره ثم رؤى أن ينسب إليه ؟! أما أنا فقد تتبعت أدوار القضية مما وافتنا به شركات الأنباء فى الأيام الأخيرة ، وأستطيع أن أقول إن موقف المؤلف الروسى قد بلغ غاية الحرج فى أول جلسة من جلسات المحاكمة ، حتى لقد سرى الهمس بين الحضور حول حقيقة نسبة الكتاب إلى مؤلفه ... كان ذلك حين وجه محرر «لى ليتر فرانسيز» سؤالين إلى كرافتشنكو أوقعاه فى حيرة بالغة ، وكان السؤال الأول : هل يستطيع كرافتشنكو أن يذكر لنا شيئاً عن نهاية «منزل الدروس» ؟ وأرتج على المؤلف الروسى وعجز عن الجواب ولم يدرك ما وراء السؤال ... عندئذ تهيأت الفرصة لخصومه فانثنوا ينعتونه بالكذب والخداع ؛ كيف يعجز من تذكر مسألة أفرد لها بعض الصفحات فى كتابه وهو يتحدث عن مسرحية «منزل الدروس» للكاتب النرويجى هنريك إبسن ؟! وكيف يعجز من تذكر مسألة أخرى دار حولها السؤال الثانى حين طلب إليه المحرر أن يدلى بما رسب فى ذهنه عن مسرحيات دستويفسكى الثورية ، وهى مسألة تناولها المؤلف من زاوية خاصة فى بعض صفحات «آرت الحرية» ؟! ...

وهل من المعقول أن يخرج كرافتشنكو كتاباً يقع فى ستمائة صفحة من القطع الكبير بهذا الأسلوب المشرق كما يقول خصومه وهذه مقالاته فى الصحف الروسية تحفل بين أيديهم بهلهلة الأداء وانحطاط العبارة ؟!

هذه هى القضية التى تعرض اليوم أمام القضاء الفرنسى ... وليس من شك فى أن الذين قاموا بترجمة هذا الكتاب من مختلف الشعوب إلى شتى اللغات ، سيلقون بعض الحرج إذا وقف القضاء إلى جانب المجلة الفرنسية ، ومما يذكر فى هذا المجال أن الأستاذين محمد بدران وزكى نجيب محمود قد قاما بنقل الكتاب إلى العربية بتكليف من وزارة المعارف !

لحظات مع أمير الشعراء :

هى تلك التى نعمت فيها منذ أيام بالاستماع إلى قصيدة «النيل» ، تتملى أبياتها فى أنغام ساحرة من حنجرة أم كلثوم .

الشعر الممتاز يتناوله الصوت الممتاز فيحيله لحناً فريداً يمتع السمع والفكر والخيال .

أما السمع فكان مع الصوت الجميل النادر ، وأما الفكر فكان مع الشعر الذي هز مكامن الشعور ، وأما الخيال فكان مع الشاعر العظيم يسبح في دنياه !

نعم ، كان الخيال مع الشاعر الذي أنكرته يوماً مع المنكرين ثم عدت فأنكرت ما كان من أمر نفسي ... إن ضجيج المعاول التي كانت تحاول هدم البناء الذي أقامه الرجل في دنيا الشعر ، هو الذي حال بين سمعي وبين الإنصات لتلك القيثارة الفذة ! لقد كنت أصبح على أصوات المعاول وأمسي على أصوات المعاول وفي غمرة هذا الضجيج طغت الصيحات الجائرة على الألحان الساحرة فضلت طريقها إلى قلبي ... ولم تكن الملكة الناقدة في السن الباكرة قد بلغت من النضج ما يمكنها من إقامة الميزان للملكات الموهوبين وحملات المترضين ! وحين أقبل اليوم الذي خفتت فيه أصوات المعاول خجلا من صمود البناء ، أرهفت سمعي لألحان الشاعر المفترى عليه ، وأرسلت فكري يقف عند كل بيت من أبياته ويطيل الوقوف ، ورحت أزن الرجل وشعره بميزان الذوق الذي يحتكم إلى العقل والقلب والشعور ... وخرجت من هذا كله بشيء واحد : هو أنني آمنت بشوقي وكفرت بخصومه !

كان السمع إذن مع أم كلثوم ، وكان الفكر مع الشعر ، وكان الخيال مع الشاعر ... أما الشعر فقد عرفت رأيي فيه وفي صاحبه ، وأما الغناء فلا بد فيه من كلمة ! إن أم كلثوم في رأى الفن لا تمتاز بموهبة الصوت وحدها كما ينادى بذلك بعض القلة ولكنها تمتاز بموهبتين أخريين هما براعة الإلقاء ودقة الأداء ... إنها تكاد تنفرد بتلك الموهبة التي تتمثل في سلامة النطق لمخارج الحروف في المقطوعات الشعرية ، أما موهبة الأداء فتتمثل في أنها تنقل اللحن كما يلقى إليها في دقة عجيبة ، يعينها عليها ذوق صقله المران وأذن بلغت الغاية في رهافة الحس الموسيقى . كل ما ينقص هذه الفنانة هو أن صوتها النادر ينطلق من أوتار الحنجرة دون أن يمر على أوتار القلب وهنا مفرق الطريق بينها وبين فنانة كأسمهان !

كلمات من « قطرات ندى » :

حدثتك في العدد الماضي من الرسالة عن كتاب الأديب اللبناني راجي الراعي ... ولن أنعت هذا الرجل إلا بكلمة «أديب» ولو ترك الأدب إلى المحاماة ، وترك المحاماة إلى القضاء ، وترك القضاء إلى حيث لا أدري ولا يدري ! .

ولعل هذه الكلمات التي أنقلها هنا عن كتابه تهز قلبه وتحرك قلمه وتعود به إلى ماضيه ... وإنها لكلمات تعلو في رأيي فوق مستوى نظائرها في « كرم على درب » لميخائيل نعيمه . وإذا كنت قد استمعت لنعيمه في كرمه ودربه فما أحراك أن تستمع لراجي الراعي في قطرات نداه :

* يقولون أبطلوا الثورات ، ولكنهم ينسون أن الألوهية نفسها قد ثارت بالخليقة على العدم ! .

* إذا شئت أن تبكي فاذرف الدمع أينما كنت ، فلست في حاجة إلى زاوية تختارها وتعتزل فيها فالجميع يبكون ! .

* الرجل الذي لا يستحق أن يحيا لا يستحق أن يموت أيضاً ، فقد يجاور جثمانه في القبر جثمان رجل عظيم ! .

* إذا صفعتك الحياة بارزها بسيف الإرادة وارسل إليها شاهديك : العمل والأمل ! .

* الفشل دمعة وقهقهة ، فإذا فشلت بكى الوهم فيك وقهقهت الحقيقة ! .

* الزنا في رأيي لا يعني فقط تحول المرأة عن زوجها الشرعي ، ولكنه يعني أيضاً التحول بصورة عامة عن طريق الواجب ، فأي منا لا يتحول عن هذا الطريق ! أي منا لا يعد مع هذا التعريف زانياً ! .

* لا تقل لي كم عشت من السنوات ولكن قل لي كيف عشتها ! .

* من أنت وما هذا التبجح فيك ، ما دامت ثلاث كؤوس من الخمرة الطيبة تستطيع أن تتصرف بك على هواها ؟ ! .

* إذا وقعت الحياة على أوتارها جاءتك بنغمة واحدة هي الأنين ! .

* الحياة تستبقي خمورها ولكن الموت هو الداعي إلى الوليمة ، فكأن الحياة تقدم لي كأسها لأشرب نخب القبر الذي أنا صائر إليه ! .

* كيف اجتمعت عظمة الفن في بناء الأهرام مع عبودية بناتها ؟ ! .

* الفترة بين ضلال وضلال هي التي نحسبها هدى ... وما هي إلا صلة بينهما ! .

* ليتني أظل حيا في الموت لأدرك أسراره !
* الذكرى جرس يدق في عالم النسيان !
* الأبطال يشدون بحبال مشانقهم أوتاد خيامهم في بطاح المجد !
* ثلاثة قهروا الموت : الخالد ، والمنتحر ، والذي لم يولد بعد!
* عجبت للموت كيف يدعي أنه يغمض الجفون ، ألم تغمضها الحياة من قبله ! أي لحظة تمر بنا والجفن فيها قرير ؟!
* مهما قيدوا حرية الكلام فإن الخطيب الحق هو من إذا جاشت في صدره الشجون لا يلتفت يمنة ولا يسرة ، بل يصعد إلى المنابر عنوة وقسراً !

سوفوكليس والأستاذ الصعيدي :

الأستاذ الشيخ عبد المتعال الصعيدي عالم من علماء الأزهر ؛ ومعنى هذا أن ثقافته لا تعينه في البحث والدراسة إلا في حدود المجال الذي تخصص فيه وتفرغ له .. وكم أود أن يقصر بعض الباحثين جهودهم على الميدان الذي أعدوا له أذواقهم وملكاتهم ، وأنفقوا فيه كل ما تهيأ لهم من وقت ومثابرة !

أقول هذا بمناسبة الكلمة التي كتبها الأستاذ الصعيدي في العدد الماضي من « الرسالة » حول مسرحية « الملك أوديب » للأستاذ توفيق الحكيم ... ولله يوافقني على أن مجال الكتابة من فن المسرحية أمر بعيد عن دائرة اختصاصه ، لأنه لا يعرف لغة أجنبية تعينه على الإلمام بأصول هذا الفن عند سوفوكليس وغير سوفوكليس من كتاب المسرحية في الأدب اليوناني . ولو قدر له شيء من هذا لما كتب هذه الكلمة التي تحفل بسذاجة النظرة إلى ذلك العمل الفني الذي نسجت خيوطه من جو الأساطير القديمة ! ... إن الأستاذ الصعيدي يضحكني حين يخالف رأي النقاد على مدار القرون ، وهو الرأي الذي يقطع بأن هذه المسرحية قد بلغت من الكمال الفني أوجاً يعد مفخرة للذهن البشري . إنها في رأيه — أو على الأصح في رأي ثقافته — ألاعيب كهان جهلة ، يستغلون جهل الشعوب ، ويلعبون كما يشاء لهم جهلهم بمصيرهم !

إذا لم تصدق أن الأستاذ الصعيدي قد قطع بهذا الرأي ، فارجع إلى عدد « الرسالة » الماضي ... وإذا سألتني تعقيباً ، فليس لدي غير تعقيب واحد هنا نصه : أفادكم الله يا أستاذ !

دفاع عن قضية خاسرة :

عاد الأستاذ محمد محمود عماد الهامي ليخالفني مرة أخرى فيما عقبت به على كلمته الأولى حول شخصية محمد الإنسانية ؛ وأود أن أوجه نظر الأستاذ عماد إلى أن هذه الطريقة التي يناقشني بها ، تذكرني بطريقة كل محام يدافع عن قضية خاسرة .. لا شيء غير اللف والدوران « والتعامل » مع الألفاظ والعبارات ! .

ترى هل يرى الأستاذ عماد من وراء هذا الجدل إلى أن يخرج القراء بنتيجة ؟ ... إنني أرحب بالنقاش إذا ما حاول أن يفهمني ، وإلا فلن أرد عليه ، لأن وقتي ووقت القراء وصفحات الرسالة يجب أن تشغل بشيء ذي غناء .

وللأستاذ مني خالص الشكر على كريم تحيته .

أنور المعداوي

الأدب والفن في أسبوع

للأستاذ عباس خضر

براعم التمثيل في الأوبرا :

أقام المعهد العالي لفن التمثيل العربي يوم السبت الماضي حفلة تمثيلية بدار الأوبرا الملكية ، لمناسبة توزيع صور جلالة الملك على الطلبة المتفوقين وتسليم إجازة المعهد إلى خريجيه .

وقد أحيا هذه الحفلة طلبة المعهد بتمثيل مسرحيتي «النقذة» و «الصعلوك» تأليف الأستاذ محمود تيمور بك وإخراج الأستاذ زكي طليمات عميد المعهد .

أما « النقذة » فهي مسرحية تقع حوادثها بمصر في عهد المماليك الجراكسة ، وتظهر مناظرها على المسرح في قصر الأمير (برسباي) الذي يشتمل على الأميرة (فريهان) وقد أنقذها الأمير ، وكان مملوكا لأبيها ، من (داود بك) الذي اغتال أباها . وتدل الحوادث التي يتردد صداها على المسرح ، على أن القتال يدور بين (برسباي) وبين (داود بك) للمنافسة على مشيخة البلد حتى يقتل الأول الثاني ويفوز بالمشيخة . أما خشبة المسرح فتدور عليها معركة أرق وأعنف في آن واحد — هي معركة الحب بين (فريهان) و (برسباي) أو بعبارة دقيقة بين حب فريهان وكبريائها ، فهي تحب برسباي وتهيم به في غيبته ولكنها تتأبى عليه وتظهر له عدم الاكتراث وتنكر عليه أن يطلب مبادلتها الحب لأنه كان مملوكا لأبيها ، ويشقى هو منها بذلك ويضيق به ، حتى ينبهه مربيه الشيخ (طويل العمر) على أمر له خطره ، فيقول له : إنها تحبك ولكنها تشعر بفضلك عليها وأنها أسيرة هذا الفضل ، وإن هذا الشعور يؤذي كبرياءها وترى في مكاشفتك بالحب إذلالا لها .

وتلك هي عقدة المسرحية وهي مبنية على الازدواج في نفسية فريهان ، إذ يطلق بشعورها الظاهر أن برسباي ليس أهلا لحبها مهما أبدى من الشجاعة والنبل ، ويتوه عقلها الباطن بعبء ما أسدى إليها من جميل .

ويعمل الشيخ الفطن (طويل العمر) على حل العقدة ، فيتظاهر بأنه يدبر مؤامرة مع (قاسم) رئيس حراس القصر لاغتيال برسباي ، ويرتب الأمر بحيث تعلم فريهان بالمؤامرة ، فتتدخل في وقت تنفيذها ، وتنقذ حياة برسباي ، وتبادله معروفاً بمعروف ، ثم تبادله الحب .

وقد أجاد الممثلون والممثلات من طلبة المعهد وطالباته ، وخاصة كمال يس (طويل العمر) وناهد سمير (فريهان) وكان نطقهم للعربية فصيحاً . ولا آخذ عليهم غير بعض التكلف في الشخصيات الفكاهية كشخصية (قاسم) رئيس الحراس ، فإنه وإن كان قد قصد به الإضحاك إلا أنه كان مفرطاً في تكلف حركاته .

وأما « الصعلوك » فهي مسرحية قوامها شخصان (درديري أفندي) المفلس الطروب الذي يتردد على (وحيدة هانم) فينقل إليها أخبار المجتمع وفضائح الناس ، ويتلقى هو منها الإهانة والسخرية بالحمد والشكران . ويخبرها في نهاية حديثه معها بأن في جيبه ألف جنيه ويبرزها لها ، ويقول إنه سينفقها في ليلة واحدة . فتتبدل وحيدة هانم إزاء درديري أفندي امرأة أخرى ناعمة متكسرة مدللة ، ويلي الإدبار ، ولكنه سرعان ما يغير سلوكه معها ويمزق الأوراق المالية ويسخر منها .

والحوار يدلنا على حقيقة شخصية درديري أفندي وفلسفة حياته ، فهو ينفق ما يقع في يده من مال دفعة واحدة لينعم باللذة إلى أقصى حد ، ثم يعيش في ضنك وبؤس ، أو كما يجري على لسانه : يذوق حلو العيش ومره . وهو يرى الحياة قد فرضت عليه القل والحرمان فهو وإن كان يُضحك من يسخرون منه إلا أنه في أعماقه يمقتهم ويتوق إلى إذلالهم والثأر لنفسه منهم ومن المال لأنه سبب شقائه .

وقد قام كل من ملك الجمل (وحيدة هانم) وعبد الغني قمر (درديري أفندي) بدوره خير قيام .

وهكذا نرى المسرحيتين تقومان على التحليل النفسي ، والإبداع في هذا التحليل أنه مصوغ في قالب سهل صياغة فنية ممتعة ، فالأداء الفني يدنو بالموضوع الرفيع من العقول كما يخاطب به القلوب ، ولست أفهم الفن المسرحي إلا أن يكون موضوعاً قيما مذابا في الإمتاع الفني . وبغير ذلك يكون المسرح (بهلوانية) وهراء .

أما طلبة معهد التمثيل وطالباته ، الذين قاموا بتمثيل تينك المسرحيتين ، فقد بثوا في قلوب عشاق المسرح الطمأنينة

على مستقبل هذا الفن الجليل في مصر . وما أجدر خريجي هذا المعهد أن يأخذوا أماكنهم اللائقة بهم في الفرقة المصرية ، فيملأوا فراغاً كبيراً بها ، وحقاً إن الفرقة تضم الآن بعض هؤلاء ، ولكن لا تعطي لهم إلا الأدوار الثانوية ، ويصر الممثلون والممثلات الذين يمثلون على المسرح منذ ثلاثين عاماً على أن يمثلوا أدوار الفتيان والفتيات الأوائل — أفلا يفسح ذوو الوجوه المتغضنة التي يتعب (الماكياج) في إصلاحها ، لهذه الأزهار المتفتحة في الوجوه الجديدة ... ؟

وأظن أنه قد آن الأوان لأن تفكر وزارة المعارف أو وزارة الشئون الاجتماعية في الانتفاع بخريجي معهد التمثيل في تأليف فرقة أو فرق جديدة تحقق الأهداف المنشودة من إنشاء المعهد .

الأديبة الشريدة :

نشرت مجلة المسامرات قصة فتاة أديبة ضريرة بائسة ، تخلى عنها أهلها ، وآواها الاتحاد النسائي في حياة المغفور لها السيدة هدى شعراوي ، وكان الدكتور طه حسين بك قد توسم فيها استعداداً أدبياً فألحقها بكلية الآداب ، واسم الفتاة « ابتسام حافظ » .

والنهاية المحزنة لهذه القصة أن الاتحاد النسائي ألقى بها أخيراً إلى الطريق شريدة لا تعرف لها مأوى ولا عائل !

والفتاة الأديبة ابتسام حافظ تقول الشعر ، ومن قولها بعنوان « من وحي الألم » :

والناس عباد الدرام يتهودون له بفعل واجب الإطراء
فقد الجميع ضميرهم سحقاً لهم وتجردوا من عفة وحياء
شغلوا بحب النفس حتى لم يعد يعنيهم إلا رضا الأهواء

ولست أدري ماذا أقول ، وعلى غادر « المنفلوطي » من مترجم ؟ ولكني أقول : إن في مجتمعاتنا فتيات يفزون القلوب ، ويغدق عليهن ، فهل في القلوب مكان من نوع آخر لهذه الأديبة البائسة ؟ !

البأس في اللغة :

قال لي صديق في المجمع اللغوي : إنك تهجم على المجمع . وهو يعني ما أناقش به منهج العمل في مجمع اللغة وما أعقب به على بعض آراء الأعضاء ، وهو يعني أيضاً شيئاً من العتاب لأنه يعلم أني من ألصق الناس بالمجمع لسابق عمل به وكثرة أصدقائي وإخواني فيه ، أعضاء وموظفين ، فلا ينبغي أن أقف منه موقف المعارضة في بعض المواطن .

فهل هو على حق في ذلك ؟
لقد شكا بعض الأعضاء من

كشكول الأسبوع

* قريباً جداً تنقسم خلية « الرسالة والرواية » وتصبح « الرواية » كائناً حياً مستقلاً ، فتعيد إلى فن القصة الرفيع اعتباره وازدهاره .

* قرر وزير المعارف تأليف لجنة الفحص لجائزة فؤاد الأول للآداب عن سنة ١٩٤٩ برياسة علي عبد الرازق وعضوية إبراهيم مدكور ، وإبراهيم مصطفى ، وأحمد حسن الزيات ، وأحمد زكي ، وعباس الجمل ، وعبد الحميد العبادي وعلي الجارم ، ومحمد خلف الله أحمد ، ومحمد توفيق دياب ، ومحمد عبد الواحد خلاف ، ومحمد عوض محمد ، ومحمد فريد أبو حديد ، ومنصور فهمي . ويتولى سكرتارية اللجنة : علي أدهم ، ومحمود الخفيف .

* جاء في افتتاحية العدد الأخير من « الهلال » هذه العبارة : « إن الأدب حسن التعبير عما يختلج في النفس ، وليس يهمني ما تختلج به النفس ، وليس يهمني ما خلجها ، وليس يهمني أخلجها عنيفاً أم خلجها خفيفاً أو لم يخلجها أبداً » .

فهل تستطيع أن تقرأ ذلك ثلاث مرات بسرعة دون أن يتعثر لسانك ؟ إن استطعت ذلك فلك بقرة من بقرات بركات !

* تجري الآن في باريس محاكمة عصري مجلة « الآداب الفرنسية » بتهمة القذف في حق كرفتشنكو الروسي مؤلف كتاب « آثرت الحرية » والقول بأن الكتاب ألفه رجال المخابرات الأمريكية ، وقد وجه المحرر المتهم أسئلة إلى المؤلف عن بعض ما تضمنه الكتاب ، فارتبك ورفض الإجابة .

* المرشحون الآن لملء الكرسي الخالي بالمجمع اللغوي ، هم الأساتذة : أحمد حسن الزيات ، ومحمد توفيق دياب ، وإبراهيم مصطفى ، وبشر فارس . وقد حدد يوم ١٤ فبراير الحالي موعداً لانتخاب أحدهم

* جاء من باريس أنه تألفت هناك جمعية تعاونية أدبية من الأدباء الكبار النابهين والأدباء الصغار الناشئين

عزلة المجمع وعدم شعور الناس به كما ذكرت فى الأسبوع الماضى ، وأنا أذيع على الناس عمل المجمع وأعرض آراء أعضائه فى مسائل اللغة والأدب والمجمع يدعو إلى إبداء الرأى فيا يبحثه ، وأنا أبدى ما يعن لى إزاء ما أعرضه من الأعمال والآراء .

فهل أنا فى ذا بالهمذان ظالم ؟ .

ولعل فى هذا الأسبوع أسجل عملا مشرقاً من أعمال المجمع ، وهو ما يتعلق بقرار المؤتمر الأخذ بالقياس فى اللغة وجواز الاجتهاد فيها ، وقد اتخذ هذا القرار ، كما ذكرت فى الأسبوع الماضى ، بعد محاضرة للدكتور أحمد أمين بك ومناقشة فيها ؛ ويعد هذا الموضوع أهم ما أثير فى دورة المؤتمر لهذا العام ، وأقرب الأشياء إلى الناحية العملية فى مهمة المجمع ، بل هو الشىء العملى الوحيد الذى انتهى فيه المؤتمر إلى نتيجة موفقة ، بفضل هذا البحث أو المشروع القيم الذى ألقاه الدكتور أحمد أمين بك فى إحدى الجلسات .

عنوان المحاضرة « مدرسة القياس فى اللغة » وقد بدأها بقوله : من طبيعة الأشياء أن يكون فى كل جماعة مفكرة طائفة من المحافظين وطائفة من الأحرار . ثم قال : إن الاختلاف

ومن قوانين هذه الجمعية ألا توزع أرباحها على الأعضاء بل تطبع بها كتب الناشئين .

ومن الطريف أن هذه الجمعية مسماة باسم « لعبة النطة » التى يحنى فيها أحد اللاعبين ظهره ليقفز زميله عليه ، رمزاً إلى غايتها من مساعدة الكبار للصغار .

* أهدى الأستاذ توفيق الحكيم نسخة من كتابه الأخير « أوديب الملك » إلى أستاذ كبير وقرينته الأديبة الفاضلة ، فأصاب الحكيم اثنين بنسخة واحدة !

* توشك الإدارة الثقافية بالجامعة العربية أن تفرغ من « التقويم الثقافى » الذى تضمنه عن حالة التعليم فى البلاد العربية ، وهو يتضمن إحصاءات وافية شاملة للمناهج والطلبة والمدرسين وما إلى ذلك فى مختلف المعاهد

* جاء من بيروت أن المعاهدة الثقافية المزمع عقدها بين لبنان وأسبانيا تنص على وجوب تعليم اللغة العربية ودراسة تاريخ الجاهلية والعصر العباسى فى المدارس العليا الأسبانية

* توالى لجنة التحكيم فى مسابقة الثقافة العامة بوزارة المعارف اجتماعاتها للنظر فيما تقدم إليها من القصص الطويلة والقصيرة والتمثيليات المسرحية والإذاعية والمدرسية ، وينتظر أن تفرغ من مهمتها فى فبراير الحالى ثم تعلن النتيجة

* حضر إلى مصر أخيراً الدكتور محمد ثابت الفندى الموظف المصرى فى (اليونسكو) للسعى فى تنفيذ ما قررته هذه الهيئة من ترجمة الكتب والمخطوطات العربية القديمة إلى اللغات الأوربية .

* فى الإذاعة برامج مثل « أهم حوادث الأسبوع » و« البرلمان فى أسبوع » تتكون مادتها مما نشر فى الصحف وأذيع نقلا عنها فى نشرة الأخبار ، فتلك البرامج تكرار لمكرر ...

* نشرت « الاثنين » حديثاً لعبد الوهاب نقد فيه الإذاعة نقداً قال فيه إن أمر الأغانى والموسيقى فيها موكول إلى موظف يتحكم فى ذوق الجمهور وفق هواه ومتأثراً بالوساطات . وقد رد عليه مدير الإذاعة فقال إن هذا الأمر موكول إلى لجنتين ، وذكر أسماء أعضائهما . وهى أسماء شخصيات معروفة لا يصح أن ينسب إليها ما تصدع به الإذاعة رؤوس الناس ...

فى اللغة ، من حيث المحافظة والتجديد ، كان واضحاً حتى بين الأدباء ، فمن الشعراء والأدباء من كان يلتزم ما ورد فى اللغة ولا يخرج عنه بحال من الأحوال ، ومنهم من كان يجيز لنفسه أن يجدد ، فيحكون عن العجاج وابنه رؤبة أنهما كانا يصيغان ألفاظاً لم يسبقا إليها ، ويروى عن بشار أنه كان يقيس ما لم يرد على ما ورد . ثم فصل وقوف اللغويين عند ما ورد ، وأخذ النحويين والصرفيين بالقياس وتوسعهم فيه ، وقال إنه كان بجانب كثرة المتقيدين بالسماع من علماء اللغة ، قلة من القياسيين أو بعبارة أخرى مدرسة القياس فى اللغة ومن أعلام هذه المدرسة أبو على الفارسى وتلميذه ابن جنى ، وكان أبو على يقول : ما قيس على كلام العرب فهو من كلام العرب ، فإذا عربت لفظة أعجمية أجريت عليها أحكام الإعراب وعددتها من كلام العرب . وكان جريئاً إلى حد لم نصل إليه إلى اليوم فكان من رأيه أن الألف اللينة فى الكلمة الثلاثية تكتب ألفاً مطلقاً سواء كان أصلها واواً أو ياء .

وبعد أن فرغ الدكتور من الناحية التاريخية فى المحاضرة وصل إلى ما أسميه « مشروعاً عملياً » فبين ما يمكن أن



وفاة الجارم :

توفى الشاعر الكبير المغفور له الأستاذ على الجارم بك يوم الثلاثاء الماضي ، وقد شاء القدر أن يموت وهو يستمع إلى قصيدته في رثاء المغفور له محمود فهمى النقراشي باشا ، وكان يلقيها ولده الأستاذ بدر الدين الجارم في حفلة تأبين النقراشي باشا بقاعة الجمعية الجغرافية الملكية ، وكان يتلو الأبيات مع ولده بصوت منخفض ، وفجأة توقفت شفتاه ومال إلى الجالس بجواره ، وبينما كانت قصيدته « وداع » تلقى في وداع النقراشي ، حمل إلى غرفة مجاورة لقاعة الاحتفال ، ثم فاضت روحه .

والفقيد الكبير تخرج في دار العلوم سنة ١٩٠٨ ، ثم بعث إلى انجلترا وعاد منها سنة ١٩١٢ أستاذاً في دار العلوم ، وكان بعد ذلك مفتشاً في وزارة المعارف ، ثم كبيراً لمفتشي اللغة العربية ، ثم وكيلا لدار العلوم ، حتى أحيل إلى المعاش سنة ١٩٤٠ . وقد اختير عضواً بالمجمع اللغوى أول إنشائه سنة ١٩٣٤ .

وللجارم مؤلفات قيمة معروفة في اللغة والأدب ، وكان رحمه الله بقية مدرسة في الشعر تؤثر الجزالة والديباجة العربية المتينة . وكان معدوداً من شعراء العروبة المبرزين ، المعبرين عن آلامها وآمالها ، وطالما تغنى بمجد العرب ، وله في ذلك آيات خالدات .

و « الرسالة » إذ تنعى « الجارم » إنما تنعى علماً من أعلام الأدب والشعر في هذا العصر ، وهي تشعر بالحسرة لفقده ، وتشاطر المحزونين عليه آلامهم ، وتسأل الله له واسع المغفرة والرحمة .

هل الحج يمحص الذنوب ؟

قرأت في العدد ٨١١ من الرسالة الزهراء قول الأستاذ الزيات في كلمته « حج غير مبرور » إن المجرم اغتر بقول المتزيدين من جهلة الشيوخ : إن الحج وحده يمحص الذنوب ويمحو الخطايا . وفي العدد ٨١٣ تعليق للأستاذ محيى الدين عوده خالف فيه الأستاذ الزيات في وجهة نظره في الموضوع .

وفي صحيح البخاري عن أبي هريرة رضى الله عنه قال سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول : « من حج لله فلم يرفث ولم يفسق رجع كيوم ولدته أمه » . وقد ورد في شرح هذا الحديث أن من حج من المسلمين ولم يأت زوجه ولم يعمل سيئة من شتم وسباب لرفقائه والمكارين رجع كيوم ولدته أمه مشابهاً للطفل يوم الولادة في البراءة من الذنب ، وهو يشمل الصغائر والكبائر المتعلقة بحقوق الله أو بحقوق العباد ، وهذا الأخير هو المسمى بالتبعات خلافاً للترمذى فقد خصه بالمعاصى المتعلقة بحقوق الله سبحانه دون

يستفاد من القول بالقياس في اللغة — فيما يلي :

١ — كثيراً ما تذكر المصادر في كتب اللغة ولا تذكر أفعالها أو العكس ، أو لا يذكر باب الفعل ، وبالقياس يمكننا تكميل هذا النقص .

٢ — إذا وجدنا وزناً معيناً مستعملا في الدلالة على شيء خاص أمكننا أن نقيس عليه ما لم يرد ، وذلك مثل « فعال » كنجار للدلالة على محترف الحرفة .

٣ — الاعتراف بالدخيل وعده عربياً وإدخاله في معاجمنا ما دام يجرى على الصيغ العربية ويسير على نمط العرب في وضعهم أو اشتقاقهم .

٤ — نجد العرب أحياناً يلحظون في الشيء معنى من المعاني فيسمونه باسم مشتق من الكلمة التي تدل عليه ، فلما ذا لا نستعمل هذا الباب في المصطلحات العلمية وألفاظ الحضارة التي نقف أمامها حائرين ؟

٥ — كان للعرب ذوق مرهف في وضع الكلمات بمحاكاة الأصوات ، كالخرير لصوت الماء . وأرى أنه لا بأس من مراعاة الأصوات في وضع كلمات جديدة .

ثم قال : من الذي يجوز له هذا ؟ لقد شرط الفقهاء للمجتهد شروطاً ، وكذلك نفعل في المجتهد اللغوى ، فلابد أن يكون مثقفاً ثقافة لغوية وأدبية واسعة ، ويكون له ذوق أرهف بكثرة القراءة .

وقد ناقش الأعضاء هذه المحاضرة مناقشة مستفيضة ، واستعرضوا النتائج الخمس واحدة واحدة . وفي العدد التالي إن شاء الله بيان ذلك .

عباس خضر

حقوق العباد . ثم الحج بعد ذلك لا يسقط الحقوق أنفسها . بل من كان لا يقيم الصلاة : ولا يؤتى الزكاة . ولا يصوم رمضان . ولا يكاد يتشهد كهذا المسلم الفاجر أو عليه كفارة أو نحو ذلك من حقوق الله تعالى أو دين للعباد لا تسقط عنه لأنها حقوق وجبت لله أو للعباد لا ذنوب .

والحاصل أن العلماء فى هـذا الموضوع على رأيين : الرأى الأول ، اتفقوا على عدم سقوط نفس الحقوق المطلوبة لله أو للعباد ؛ فمن كان عليه حق لله كصوم أو صلاة أو زكاة أو عتق فى كفارة ، أو حق للعباد كدية أو مال مغصوب فهذه كلها لا يسقطها الحج .

الرأى الثانى . سقوط الذنوب المتعلقة بحقوق الله تعالى كذنب تأخير الصلاة والصوم عن وقتهما .

واختلف العلماء فى الذنوب المتعلقة بحقوق العباد كذنب الغصب فى الأموال على اختلاف أنواعها ، والتعدى بالقتل والضرب فقال بعضهم يسقط ذلك بالحج ، وقال آخرون . لا يسقطه إلا استرضاء صاحب الحق أو عفو الله تعالى .

والواقع أن العلماء الذين يقولون إن الحج يمحص الذنوب ويمحو الخطايا طائفة من الحشويين الجامدين الذين لم يعرفوا من الدين إلا اسمه ولا من القرآن إلا رسمه ويمثلون ذؤابة المنابر فى الريف المصرى منذ قرون وهم فى جهلهم يعمهون .

(تنا) على محمد محمد بغوى

حول مسابقة المصور للقصة القصيرة :

قرأت فى الرسالة الغراء فى العدد ٨١٢ كلمة للأستاذ أنور المداوى ينقد فيها بيان مجلة المصور الذى نشرته فى مسابقة القصة القصيرة التى أزمعت قيامها .

وقد كان الأستاذ على حق حينما عاب على المجلة بعض ما جاء فى بيانها كاعتقادها أن عنصر المفاجأة أهم ركن فى القصة القصيرة على الإطلاق ، وتحديدها عدد كلمات القصة بستمائة كلمة .

غير أنه انحرف عن الصواب حينما برهن على صدق نقده بأن عنصر المفاجأة أهم ركن فى القصة على الإطلاق بقوله :

« ... إن القصة التحليلية حين تبلغ غايتها من تشريح العواطف والنزعات لا تكون محتاجة فى الغالب إلى المفاجآت » .

فقد كان هـذا القول يتفق مع الواقع لو أن مجلة المصور اشترطت أن تكون القصص المتسابقة من النوع التحليلى ، فإن عنصر المفاجأة وإن كان غير ضرورى فى القصة التحليلية إلا أنه ولا شك من أهم الأركان التى تدعم عليها سائر القصص الأخرى .

ويقول الأستاذ المداوى فى كلمته : « إن القصة الطويلة بعد هذا هى وحدها المقياس الفنى الكامل لمواهب القصاص وطاقة القصاص ، ولا كذلك الأمر فى القصة القصيرة » .

وفى هذا الكلام نظر .. فلو كان الأستاذ المداوى يقصد بكلامه هذا أن قوة القصاص وطاقته الفنية يمكن قياسهما بقصة طويلة واحدة ... فهذا هو المستحيل .

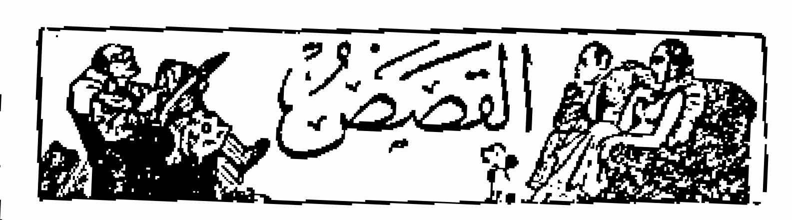
فإن مواهب القصاص ومقدرته وطاقته الفنية لا يمكن قياسها والحكم عليها بقصة واحدة ، طويلة كانت أم قصيرة ، كما لا يمكن الحكم على شاعر بقصيدة واحدة ، ولا على كاتب بمقالة واحدة ، ولا على مصور بصورة واحدة ... ففى قصص القصاص ما هو مرتفع إلى ذروة الكمال ، وما هو مسف إلى أغوار الحضيض ، كما فى شعر الشاعر ، ومقالات الكاتب ، وصور المصور ؛ فالحكم الصحيح على الفنان والموازنة الصادقة بينه وبين غيره لا تكون إلا بمجموع ما أنتجه لا بجزء منه .

وأما إذا لم يقصد إمكان الحكم على القصاص بقصة طويلة واحدة فلا داعى أن ترجح كفة القصة الطويلة على كفة القصة الصغيرة فى معيار القيم الفنية للقصاص ، فكلتاهما سواء ما دام لا يمكن الحكم بهما منفردين .

أما أخـذه على مجلة المصور قولها « إن ما يبذله كاتب القصة القصيرة من جهـد لا يقل إن لم يزد على ما يبذله كاتب القصة الطويلة » فليس فيه إنصاف ، فإن كاتب القصة القصيرة يلاقى دفعة واحدة جميع المصاعب التى كانت متفرقة فى القصة الطويلة ، فهو يكتب القصة القصيرة بجميع عناصرها الفنية فى حيز ضيق محدود مع إكمال كل عنصر وإيفائه حقه فى اقتضاب ملحوظ وحد كبير من حريته ، ولا يخفى ما فى الاقتضاب والاختصار والحد من الحرية من الضيق الشـديد والجهد الـكبير الذى يبذله كاتب القصة القصيرة . وقد أرسل سعد زغلول باشا إلى أحد أصحابه رسالة طويلة واعتذر لعدم كتابة رسالة قصيرة بسبب ضيق الوقت !!

فلا يتنافى قصر الزمن الذى تكتب فيه القصة القصيرة ، وقلة الصفحات التى تكتب عليها بذل الجهود الـكثيرة المضنية التى لا تقل — إن لم تزد — على ما يبذل فى كتابة القصة الطويلة .

(الـكندرية) محمد صلاح الدين عمران



البجعـــة

للكاتبة الإنجليزية باميلا . ﻫ . جونسون

فى اللحظة التى شاهدت فيها الطفلة ولاحظت هزالها وهى واقفة بجوار النافذة المستديرة، ويداها تمسكان بعنق التمثال الخزفى للبجعة البيضاء، أيقنت أنها ستصبح حتماً من الجميلات عندما يكتمل نموها. ولم تكن قد شعرت بوجودى، فوقفت ساكناً بجوار باب الغرفة أتأملها فى إمعان.

كانت سنها — على ما أعتقد — تتراوح بين الحادية عشرة وكانت — إذا عنّ لى أن أحكم عليها — أكثر شبهاً بوالدتها جلاديس من صورة أبيها توم، تلك الصورة التى شاهدتها معلقة فى المطبخ. ولاحظت أن أطرافها نامية نمواً ملحوظاً، وعينيها واسعتان بالنسبة إلى وجهها، وترتدى مئزراً قديم الطراز أبيض اللون، قصير الأكمام، يتحلى بزركشة وزخارف من «الدانتلا» على حافته. وكان نظيفاً على نقيض ردائها الداخلى الداكن الذى كان يبدو قديماً رثاً.

كانت الطفلة تحرك أناملها فى حنان على صدر البجعة وجناحيها. وبدت كأنها معجبة بذلك التمثال المصقول، فكانت تتأمله وكأنها خبيرة بفنه وجماله. وكان شعرها مشدوداً خلف جبهتها الصغيرة البارزة، وقد انعقد بشريط أبيض. ولعلّى أحدثت حركة بسيطة، فقد التفتت الطفلة ناحيتى ونظرت إلىّ، ثم فارقتها فى الحال روح الطمأنينة، ودفعت بالبجعة خلف ستار، ثم جعلت تمسح يديها فى مئزرها — وكان فى بياض الثلج — فتركت فيه أثراً خفيفاً من قذارة يديها. وبدت أسنانها من بين شفتيها وتراجعت كما لو أنها ستختفى كما اختفت «[1]أليس» خلال المرآة.

ولم أتفوه بكلمة وأنا أتأمل ذلك الجمال المنتظر. حقاً، لقد كانت أكثر شبهاً بجلاديس من توم. كانت تشبه جلاديس التى كنت أعهدها منذ زمن بعيد، لا تلك التى أعرفها الآن. ولم تصرف الطفلة عينيها عن وجهى، فى الوقت الذى كانت فيه تتحسس الحائط خلفها، وتتحرك فى تلصص بجواره وقد تصلب ظهرها. فقلت «تعالى. لا تذهبى» فشهقت شهقة قصيرة من الرعب، ولكنى تقدمت إليها وقبضت على معصميها، وانحنيت فى ذات الوقت حتى صار وجهى فى مستوى وجهها، وقلت «لا تهربى إنى عمك (نيل)». وحاولت أن تبتسم فى أدب ثم ارتجفت عضلة على ركن فمها بعد أن تلاشت ابتسامتها.

سألتها فى رقة «لماذا تخافيننى؟ إنى أعرف والدتك منذ زمن طويل. وها قد مضت عشرون عاماً دون أن أراها. أليست تلك مدة بعيدة؟ لقد أخبرتنى أن أحضر هنا لأشاهدك» وأضفت قائلا حتى أجعلها تشعر بالسعادة «لأشاهد أى فتاة كبيرة لها».

وأومأت الفتاة برأسها فى صمت تشير إلى البجعة. فقلت «تمثال جميل، أيعجبك؟» فابتسمت.

قلت «ما اسمك؟» فلم تجب. قلت «أنت (آمى)» فهزت رأسها بالنفى فى شدة وخوف ظاهر. وعجبت، ما الذى فعلته جلاديس حتى جعلت هذه الطفلة مرهفة الأعصاب تهاب الغرباء؟ وشاهدت جلاديس من خلال النافذة، واقفة عند مدخل الخباز، تسارع فى شراء كعك للشاى، فقد كانت زيارتى لها فجائية، ولم يكن عندها ما تقدمه إلىّ، ولذلك قالت لى «ألا تستطيع أن تشغل نفسك مدة عشر دقائق يا نيل؟ يجب أن أستحضر العشاء لتوم. وإذا حضرت آمى قبل عودتى فعرفها بنفسك».

وقلت للطفلة «متى قدمت؟ لقد أخبرتنى والدتك أنك ذهبت إلى المطبخ».

فابتسمت كأنما سرت لقدومها إلى الدار على غير انتظار. وفجأة أمسكت البجعة ودفعتها فى يدى، ثم قالت «جميلة!» فوافقتها على ذلك. تذكرت رؤيتى لهذا التمثال منذ عشرين عاماً فى دار جلاديس القائم على قمة الجرف. وكانت البجعة قطعة أثرية نفيسة من الخزف.

(١) قصة «أليس فى بلاد العجائب» من قصص الأطفال المشهورة، تدخل فيها «أليس» إلى هذه البلاد من طريق المرآة. المترجم.

ووضعت الطفلة يديها على كتفى، فركبت، وإذا بها تجلس على ركبتى، وهى تبتسم فى وجهى، وكأنما توطدت الصلات بيننا. وأخبرتها بوجه الشبه بينها وبين والدتها، وحدثتها عن جمال أمها. وقلت أتعرفين أننا اعتدنا — أنا ووالدتك أن نذهب إلى الخليج، وقد حملنا معنا أدوات الشاى لنقضى بقية يومنا هناك؟ وكنت أسبح حيث تقوم تلك الصخور الثلاثة فى صف واحد، وأدعى بأن لى يوم ما سأسبح وأسبح ولن أعود بتاتاً. ثم أختبىء فى ذلك الكهف الصغير الواقع تحت الجرف مباشرة وأناديها مثل ... »وبحثت عن كلمة لطيفة فقلت «مثل النورس[1]»

وصفقت الفتاة، ثم عقدت يديها كما لو أنها تذكرت تحذيراً بألا تنفض أصابعها مطلقاً. وانتظرت متابعتى الحديث فقلت «ثم أسبح راجعاً نحنفى، ثم ننفجر ضاحكين ... كان ذلك منذ زمن بعيد».

فسألتنى وهى ترفع أصبعها فى حذر لتلمس قمة رأسى «وأين كنت؟» فاعتقدت أنها تعنى «أين كنت هذه المدة؟» فأجبت «كنت فى الخارج».

فبدت كأنها تفقه ما قلته. وكنت قد وضعت البجعة على الأرض بجوارى، فشعرت بها تنزلق عن ركبتى متجهمة الوجه، ثم التقطت التمثال وأخفته عن الأنظار خلف الستار، ثم عادت تجلس معى وانتظرت أن أفضى إليها ببقية الحديث، فقلت «إنى لم أقابل والدك بعد، مع إنى شاهدت صورته» فابتسمت فقلت «ولكنى سأقابله الليلة عندما يعود من عمله».

ووضعت الطفلة ذراعيها حول عنقى، فشعرت بسرور عظيم يخالجنى، وإذا بى أسألها «أية هدية تودين أن أبعث بها إليك؟» فأشارت فى الحال صوب النافذة، فقلت «البجعة؟» فابتسمت. فأردفت قائلا «سأشترى لك واحدة مثلها من لندن، وسأبعث بها إليك فى طرد مسجل ومدون باسم الآنسة آمى أون» فحركت رأسها فى عنف، ثم أخفت وجهها بين يديها، وبعد لحظات نظرت إلى، وقد استعادت هدوءها السابق، ثم جذبت الشريط المعقود من شعرها، فانسدل بلونه الأشقر كلون الصباح على رمل الشاطىء الندى.

وسألت الطفلة «أتعلين إلى؟» فلمست خدى. ولاحت لى جلاديس مرة أخرى، تتحدث إلى جار لها خارج البوابة، وشاهدتها الطفلة فقفزت من ركبتى، وبدت كأنها خجلة أو خائفة. ثم اختطفت الشريط من يدى، وجمعت شعرها وعقصته، ثم ربطته، بالشريط وبطة غير متقنة فى لهفة وكأنها تتوق إلى الرحيل. فسألتها «إلى أين تذهبين؟».

وأشارت إلى جلاديس من خلال النافذة، ففتحتها وسألتها ما الأمر، فقالت «لقد نسيت المفتاح. أرجو أن تفتح لى الباب».

وعندما التفت حولى، كانت الفتاة قد اختفت، فظننت أنها أسرعت إلى المطبخ تنتظر قدوم والدتها أو صعدت لتغسل يديها استعداداً للشاى، فقد لاحظت أنهما قذرتان وبهما خدوش كأنها حدثت أثناء محاولتها تسلق الصخور الزلقة التى حول الخليج.

وأحسست الخيبة، فقد كنت أود أن ترانى جلاديس معها، فربما حدثتنى بلهجة أقل خشونة من حديثها السابق، عندما ترى الوثاق الذى توطد بينى وبين الفتاة.

وفتحت الباب فدلفت منه جلاديس مجهدة وقالت «إنى آسفة لتغيبى هذه المدة الطويلة يا فيل. إن هذا هو الضرر الذى يأتى من معرفة الناس للانسان فى الطريق، ولا بد أن تقف وتحيى عند كل ناصية».

وذهبنا إلى المطبخ، وجعلت أساعدها فى نقل حاجاتها، وسمعتها تقول لى «كيف استطعت أن تجلس هنا وحدك؟».

فقلت ضاحكا: «لم أكن هنا وحدى. إن آمى كانت معى» فلم تنه بكلمة، فنظرت إليها تشاهدت فى دهشة أن وجهها قد تقنع بقناع من الحيرة، فقلت «ما الأمر؟» قالت «لا يمكن أن تكون شاهدت آمى. إننى قابلتها فى طريق وهى مقبلة من الشاطىء، وقد أرسلتها إلى محل لوز لتقص شعرها، وستحضر وقت تقديم الشاى».

وأحسست بشعور خفى من الرهبة يغزوتلى، فقلت «ولكن، لا يمكن أن يحدث ذلك، لقد كانت تتحدث معى هنا، وكانت تجلس على ركبتى» فقالت «ما شكلها؟» فجعلت أصف لها الطفلة بشعرها المعقود بالشريط، وردائها البنى، ومئزرها الأبيض وقلت «وكانت تلعب بالتمثال الخزفى للبجعة البيضاء الموضوع على النافذة».

(١) النورس: طائر مائى.

وهبت جلاديس واقفة ، وقد تصلب جسمها ، ثم صرخت صرخة مخيفة ، وأمسكت بها قبل أن تخر ساقطة ، وأجلستها على المقعد . وعندما فتحت عينيها نظرت حولها في ذهول ورعب ثم قالت « أغلق الباب والنافذة » وازداد شعورى بالخوف وخيل إلى بأن ظلاما حالكا قد خيم على جو الغرفة ، لم أعهده فيها من قبل.

وقالت جلاديس « لقد رأيت مارجريت » واعتدلت في مقعدها ، وقد اتكأت على مرفقها تراقب الباب المغلق . وألححت عليها أن تفسر لي ما غمض من حديثها ، وتخبرني به دون إبطاء ، فقد كنت أود أن يطغى صوتها على أى صوت أتوقع حدوثه كوقع أقدام تسير في تؤدة وتردد على الدرج ، واحتكاك يد صغيرة تستند على الباب ، ولكنها لم تفه بكلمة . وبدافع قوى ، تركتها وهى تبكى وتتوسل أن أظل معها ، وذهبت إلى الغرفة الأمامية ، وأزحت ستائر النافذة . كانت البجعة لا تزال في موضعها ولكنى لاحظت فيها شيئاً لم الاحظه من قبل . كان العنق يتصل ببقية الجسم بمسمار نحاسى لامع . واستمعت في سكون الغرفة إلى دقات قلبى ، وأغمضت عينى وأنا أسير في الممر عائداً إلى المطبخ ، وجعلت أتحسس طريقى بأطراف أصابعى دون أن أدرك ما الذى ألمسه . كانت جلاديس لا تزال متكئة على مرفقها ، وقد بدت في عينيها دلائل الرعب والخوف . فقلت « من هى مارجريت ؟ » قالت « أنها ابنتك . أتت بعد فراقك الفجائى مباشرة . كانت طفلة جميلة . وكانت تعيش معنا — أنا والدتى — دون أن يعرف أحد عنها شيئاً ، ولم نكن نسمح لها بالخروج فيما عدا الحديقة بعد الغسق . كان من الصعب أن تهدىء من حالها ، فقد كانت دائمة القفز والمرح ، دائبة على اللعب والغناء . وكانت معجبة بالبجعة البيضاء وتحب أن تلهو بها ، فنهتها جدتها عن ذلك ، لأن التمثال كان تحفة ثمينة ولكن حدث في ذات يوم أن أسقطت البجعة فانفصلت رأسها . ألذلك قد لاحظت المسمار المثبت في عنقها » .

وكنت أعرف أنه لم يكن هناك مسمار عندما كانت الطفلة تداعب بأناملها الجميلة جسم البجعة المصقول .

واستطردت تقول « كانت والدتى ذات مزاج حاد ، وكان من الصعب عليها أن تسامحنى في ولادة ابنتى التى لا يعرف الناس عن والدها شيئاً ، بل كانت تشعر بالعار من ذلك . ولم يكن يزور دارنا القائمة على الجرف هناك سوى اللبان وبائع الصحف . وعندما رأت والدتى البجعة المكسورة ، انحنت على الطفلة وقبل أن أمنعها ، كانت قد لطمتها لطمة قوية على أذنها . ولم تكن والدتى في الواقع تعنى أن تؤذيها ، بل أرادت أن تلقنها درساً في الطاعة . وعدت مرجريت صاعدة إلى الطابق العلوى وهى تبكى وتنتحب ، وشعرت بارتباك وألم من كل ما حدث فقد كنت مغرمة بالطفلة ، حقيقة كنت أحبها حباً شديداً . وفى تلك الليلة خرجت مرجريت من نافذة غرفتها وهربت . ولا أدرى كيف استطاعت النزول من ذلك الارتفاع ، فقد كان من الصعب على طفلة مثلها أن تهبط على تلك النباتات المتسلقة الرفيعة .

وكدت أجن . ولم أجرأ على البحث عنها بحثاً دقيقاً خشية ألسنة الناس . على أية حال ، مكثت طول الليل هائمة عند الجرف . وفى الصباح عثرت على قطعة بيضاء من القماش ملتصقة على قمة إحدى الصخور الثلاثة ، فنزلت ولا أدرى كيف ، فإنى كما تعرف أخاف دائماً المرتفعات . كانت قطعة من مئزرها قد انحشرت بين نتوءين . فاستنتجت ما حدث . ومكثنا أسابيع ننتظر دون أن نجرؤ على التحدث ، ولم نستطع النوم ليل نهار . وأخيراً وجدوا جثتها . كان قد لفظها البحر وألقاها على الشاطىء على بعد أميال من هنا ، في مكان لا أعتقد أننا ذهبنا إليه يوماً ما . ولم يتبينوا شخصية الجثة ، فإنه لم يبق منها شىء عندما ... » .

وفجأة أمسكت بمعصمى وقالت : « ألا تسمع ؟ » .

وكدت أموت رعباً وأنا أقول « ماذا ؟ » قالت « توم . إنه قادم . لا تخبره بشىء . قل إنى مريضة . قل إنه قد أغمى على . قل أى شىء ... » .

وسمعته وهو يفتح الباب . فقلت لها في سرعة « ولماذا احتفظت بالبجعة ؟ » .

فنظرت إلى كأنها لا تعى ما أقول . ثم قالت « إنها تحفة قيمة . لقد كانت والدتى تقول إنها ثمينة » وجعلت عيناها تتطلعان إلى السقف والحوائط والأركان ، كأنها لا تدرى من أى فضاء في العالم قد يعود شىء إليها ، شىء كان عزيزاً عليها ، ثم تفقده إلى الأبد .

محمد فتحى عبد الوهاب

مطبعة الرسالة